الفرنسي والمتعاملين معه، كخطة استراتيجية وكحتمية تستجيب لطبيعة المرحلة التاريخية وظروفها، وصيغة مُثلى لجمع قوى الشعب وتحقيق وحدته السياسية.

إن الذين أطلقوا تعبير جهاد على قتالهم لعدوهم، وسموا أنفسهم مجاهدين[12]، والجريدة الناطقة باسمهم المجاهد كانوا يدركون تمام الإدراك ما لهذه الكلمة من وقع ومن أثر في النفوس.

وعليه روَّجوا لفكرة الجهاد حتى تتوحد كلمتهم، فيقفوا كرجل واحد أمام عدوهم.

وبعبارة أخرى فإن دعوتهم ودعايتهم للجهاد كانت هي وسيلتهم لحمل الشعب الجزائري على الثورة ضد الاستعمار الفرنسي؛ فلم يجهدوا أنفهم في إقناع الشعب الجزائري المسلم بمشروعية الجهاد، فالشعب الجزائري شعب مسلم يعرف أن الجهاد أمر شرعه الله تعالى وفرضه على المسلمين لخيرهم وسعادتهم وإعزازهم، وأن الجهاد حرب مقدسة شريفة.

وهكذا أصبح الجهاد أحد أهم الأسس التي بني عليها قادة الثورة الجزائرية قواعد حربهم للعدو لا سيما بعد مؤتمر الصومام (**1956/08/20**).

وعليه لم يبالي المجاهدون في سبيل مبدئهم بما وقع بهم من قتل وتعذيب وتنكيل، فاحتقروا الذل والهوان، وطلبوا العزة في الشهادة؛ فحملوا شعار النصر أو الاستشهاد، ومن الأمثلة عن أثر ترغيب الثورة للمجاهدين على طلب الشهادة أن أحد المجاهدين من أبناء مدينة معسكر يدعى حبوش عبد القادر المعروف بـــ "زعطوط" كان يكشف عن صدره ويطلق الرصاص على عدوه واقفا لا منحنيا أو منبطحا ويقول لأصحابه: "مَا هُوْشْ رَجُلْ اللِيْ مَا يَلْقَاشْ الرَصَاصْ بِصَدْرُهْ"، وهناك مثال آخر لأحد أبناء هذه المدينة من المحكوم عليهم بالإعدام، وهو المدعو بوبرقيق سعيد، الذي حاك الراية الجزائرية على قطعة قماش وهو بداخل السجن وكتب عليها "موت الشرف ولا حياة الذل".

ومثل هذه الشهادة رد قاطع على الذين يتهمون الثوار الجزائريين بأنهم لم يكونوا مجاهدين حقا- على الأقل خلال حرب التحرير-.

كانت عبارة الجهاد في سبيل الله والوطن وسيلة الثوار الجزائريين الأقوى لاستثارة الحماسة، والتحريض على القتال، وبث قدرة الصمود في النفوس، لأن المجاهد المتوكل على الله لا يُثنيه عن تحقيقه لهدفه أي عارض مهما كان خطيرا، ولم يثن من عزيمته أي عامل من عوامل الفشل والتثبيط مهما كان مصدره وكيفما كان نوعه[13]، ووعد قادة الثورة التحريرية المقاتلين بجنات الخلد إذا نالوا الشهادة، وأرهبوهم بنار جهنم، إذا تخاذلوا[14]؛ وهكذا أصبحت كلمة جهاد عنوانا للثورة الجزائرية، وعنوانا لاستراتيجيتها كما أنه باسم الجهاد استعادت الجزائر استقلالها.

وذهب الحد ببعض الكتاب إلى القول: إنه "لولا الدعوة إلى مقاومة الاستعمار باسم الإيمان والجهاد في سبيل الله والوطن لكان في الإمكان ذوبان السكان المحليين- المتخلفين- في مجتمع الأوروبيين- المتقدمين-"[15].

إن المجموعة القليلة التي هيئت للثورة وأعدت لها كانت تدرك قوله تعالى: «...كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الْصَّبِرِينَ»[16]، وقوله تعالى: «إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي الْتَّوْرَاةِ وَ الإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ، وَذَّلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[17]، وقوله: «وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ»[18]، أي أنه طلب من المؤمنين أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله ليثيبهم الجنة.

ومن هنا وجد الجهاد تطبيقا له في الميدان، كما أن المبدأ القائل: "ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا"[19] رفع من معنويات المجاهدين ودفع بالشباب الغيور على دينه ووطنه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير الوطني بعد أن عرف أن الإسلام هو الذي يردُّ له الاعتبار، وينتشله من الذل الذي أصابه.

وهكذا أصبح العامل الديني أحد أهم العناصر في إنجاح ثورة **01** نوفمبر **1954**م التي أعلن بيانها صراحة بأن هدفه هو الاستقلال الوطني بواسطة:

1- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

2- احترام جميع الحريات الأساسية بدون تمييز عرقي أو ديني[20].

يستشف من العبارة الأولى الرجوع إلى الإسلام كجزء من هويتنا، وبهذا الشكل تكون الثورة قد ربطت بين البعد الديني والوطني أي بين الجهاد في سبيل الله وفي سبيل تحرير الوطن، أما العبارة الثانية ففيها ما يدل على روح التسامح والتعايش السلمي بين الديانات وهي ترجمة لقوله تعالى: «لاَ إِكْرَاهَ فِي الْدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الْرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ»[21]، وقوله تعالى: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دَيْنِ»[22]؛ والملاحظ أن أعمال العنف الثوري وأعمال التخريب لم تمس بالمقدسات الدينية للمستعمر (الكنائس، الأديرة، المعابد، المقابر...) إيمانا بإمكانية تعايش الأديان.

وضمن البيان النوفمبري في البند الثاني من الأهداف الخارجية عبارة الإسلام "تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها العربي الإسلامي"[23]. كما أن ورود عبارة التاريخ والجغرافية والدين

والعادات ضمن العنصر الأول من فقرة "وسائل الكفاح" كلها دليل على رغبة محرري البيان في استغلال العامل الديني وتوظيفه أحسن توظيف على الصعيد الداخلي والخارجي.

وللعلم فقد تكررت عبارة "الإسلام" ثلاث مرات في النص النوفمبري وعبارة "الدين" مرتين اثنتين.

بإعلانهم عن اتجاههم الإسلامي والعربي فإن الثوار قد ضمنوا ورسخوا في نفوس الشعب الجزائري مبدأ الوحدة الوطنية والسياسية، وكسبوا ثقة الشعب الجزائري الذي كانت رغبته أشد في الرجوع إلى الأصل، واستعادة أحيائه للتراث الوطني الديني واللغوي والتاريخي؛ أما خارجيا فقد كسبوا تأييد وتعاطف الشعوب العربية والإسلامية معهم ماديا ومعنويا.

إلاّ أنه ينبغي أن لا يُفهم أن المجاهدين كانوا متعصبين للدين الإسلامي، فدين الإسلام هو دين غالبية الشعب الجزائري، ولا أحد يشك في أن الإسلام في الجزائر يمارس كعقيدة وكحضارة، كما ظلّ الإسلام أساس الوحدة الوطنية، والمحرك الرئيسي للمقاومة وللثورات التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، كما أشير إليه من قبل، ولم يحارب الجزائريون الفرنسيين لكونهم نصارى وإنما لاعتبارهم مستعمرين معتدين، ممتثلين في ذلك لقوله تعالى: «وَقَاتِلُوْا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ»[24]، وهكذا شعر الثوار بأنهم مجاهدين في سبيل الحق ضد الباطل، وبأنهم في الاتجاه السليم على قدم المجاهدين الأوائل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأنهم على عقيدة ومنهاج الفاتحين من أمثال خالد بن الوليد وعقبة بن نافع وطارق بن زياد، فبرهنوا بالفعل عن فعالية مدهشة، بخاصة وهم يتذكرون التوسع الهائل الذي حققه المحاربون العرب بحيث شمل البحر المتوسط حتى إسبانيا وجنوب فرنسا، وبلغ فارس والهند شرقا خلال مدة لا تتجاوز عشرات السنين[25]، ولعل هذه الانتصارات تعود إلى إيمانهم بقضيتهم.

وقد أعطت فكرة "الجهاد" وصيحة "الله أكبر" والرغبة في الاستشهاد الكفاح المسلح في الجزائر بعدا ثوريا حقيقيا تأكّد معه التواصل بين حلقات الكفاح التي خاضها جيل الماضي وواصلها جيل الثورة، كما أن سلوك المجاهدين وفق الشرع الإسلامي أكسبهم ثقة الشعب وتعاطفه معهم، فأصبحوا يتمتعون بالمهابة والاحترام، والتأييد والطاعة، ويظهر ذلك في: افتتاح المجاهدين لجلساتهم بالبسملة والحمد لله ثم باسم جبهة وجيش التحرير الوطني، واختتامها بسورة «العصر»، وأدائهم للشعائر الدينية، وفي مقدمتها الصلوات الخمس، كما أن محاكم جيش التحرير الوطني كانت تستمد أحكامها

القضائية من مصادر الشريعة الإسلامية والعرف السائد الموجود، ومن ذلك تنفيذ حكم الإعدام فيمن يمس بشرف المجاهد كالاعتداء على حرمة امرأة، ومن الأمثلة على ذلك تنفيذ حكم الإعدام في حق الرائد "أزدات" عضو مجلس الولاية الثالثة بتهمة ارتكاب علاقات جنسية غير شرعية مع مجاهدة، وتنفيذ حكم الإعدام في حق شيهاني بشير قائد المنطقة الثالثة بولاية الأوراس النمامشة بتهمة اللواط(26).

وأغدقوا من مال الثورة على طلبة العلم والقرآن ومعلمي الكتاتيب القرآنية لاسيما في الأرياف؛ وأمنوا النفقة لأرامل الشهداء وعائلات المجاهدين وأسرى الحرب، وحذروا الشعب من تعاطي التدخين وشرب الخمر(27).

ولما أنشأت جبهة التحرير الوطني المجالس البلدية اشترطت في أعضائها التحلي بالأخلاق الإسلامية، والتشبع بالروح الوطنية، وأن يكون الإخلاص رائدهم، مع الحرص على إحراز ثقة الشعب وتقوية الروابط فيما بينهم، متجاوزين الحزازات القديمة والأغراض الشخصية التي من طبيعتها زرع روح الانشقاق بين أفراد الشعب وطبقاته.

كما كان الملتحقون بالثورة يلزمون بالقَسَم على المصحف الشريف بعدم الخيانة، والإخلاص والوفاء للوطن.

وحتى كلمات السر المتداولة بين الثوار كانت جميعها عبارة عن ألفاظ وشعارات مستمدة من التاريخ الإسلامي كـ"الدين والعدل"، "الحق والباطل"، "الدنيا والآخرة"، "الجهاد والإخلاص"، "السيف والقلم" و"الحرب والنصر".

وأثناء المعركة كان يسمع تشهدهم وهم يقاتلون، وبمثل هذه السلوكات يكون الثوار الجزائريون قد صبغوا الحرب التحريرية بالصبغة الدينية والغيرة الوطنية، واستحقوا ولاء الشعب الجزائري ومساندته لهم، وهي كافية لدحض أقوال المجازفين والذين يريدون عبثا طمس الصفة الجهادية للثوار الجزائريين (على الأقل خلال المرحلة الممتدة من **1954/11/01** إلى يوم **1962/03/19**م)، ومهما يكن من أمر فهم بشر يصيبون ويخطئون ومن أخطأ منهم فخطؤه يترتب عليه وحده.

ولدينا من الشواهد التاريخية المتوفرة ما يبرهن أن مقاتلي جيش التحرير الوطني كانوا يطلبون إحدى الحسنيين: الشهادة أو النصر شأنهم في ذلك شأن المجاهدين المسلمين الأوائل، وهذا ما يفسر الجهود الكبيرة التي بذلت من أجل النصر (مليون ونصف مليون من الشهداء).

وهكذا مكنت العناية بالجانب الروحي المجاهدين من إحداث تغييرات جذرية في المفاهيم والسلوكات لدى المجتمع الجزائري بأكمله.

علاقة الجهاد بالعنف الثوري: انطلاقا من قوله تعالى «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا استطَعْتُمْ مِنْ قُوَةٍ ومِنْ رِبَاطِ الخيل تُرهِبونَ بِهِ عَدُوَ الله وَعَدُوّكم»[28]، وقوله تعالى «فَمّن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتّدى عليكم» «واتقوا الله واعْلَمُوا أَنَ الله مَعَ المُتقين»[29]. ومن المبدأ القائل «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة» عمد الثوار الجزائريون إلى الرد على فرنسا والمتعاملين معها بالمثل مستخدمين العنف المضاد كأسلوب وكوسيلة فعالة.

وإن كانت مواثيق الثورة الجزائرية ونصوصها تؤكد بأن الثورة الجزائرية ليست حربا أهلية ولا حربا دينية[30] وإنها لا تميز نفسها عن مختلف الطوائف الدينية التي تسكن البلاد الجزائرية، ولكنها تميز فقط أنصار الحرية والعدل والكرامة الإنسانية من جهة أخرى... وليس أدل على هذا من إنزال العقاب الشديد بالخونة من رجال الدين في حرم المساجد[31].

وعليه مارس الثوار الجزائريون أسلوبا انتقاميا عنيفا ضد خصوم الثورة الجزائرية وأعدائها من رجال الدين الجزائريين، وهكذا استهدفت الثورة شيوخ الطرق والزوايا الذين لم ينساقوا لنظامها، «معي أو ضدي».

وهذا لا يمنعنا من الإقرار أن الزوايا قد سبق لها وأن لعبت دورا هاما على صعيد المقاومة، وأيضا على الصعيد الاجتماعي والتربوي والديني والسياسي، وحافظت على العادات والتقاليد، إلا أن بعضَ رجالها، تحولوا مع الزمن إلى رجال أوفياء لفرنسا، وفي خدمتها؛ ولهذا نص منهاج الصومام (1956/08/20) على وجوب الحقد الشديد على الاستعمار الفرنسي وإدارته، وجيشه وشرطته والخونة المساعدين له[32] وعليه دفع الكثير من رجال الدين بأرواحهم ثمنا لوفائهم وتأييدهم لفرنسا.

فعلى سبيل المثال، فإنه قد تم لجبهة التحرير الوطني أن نفذت حكم الإعدام في حق واحد وعشرين شخصا بين شيخ زاوية، ومقدم، ومريد، وقريب من الشيخ، فيما بين شهري أوت **1955** ونوفمبر **1956** في إقليم الجزائر الوسطى لوحدها[33].

ومع أن «الطُّلْبَةُ» حملة القرآن الكريم قد شكلوا الكوادر للانتفاضات[34] إلا أن الكثير منهم قد اعدموا من قبل جبهة التحرير الوطني، بسبب تعاونهم مع الاستعمار[35]، وذلك حتى يكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه التعامل مع العدو ضد أبناء شعبه.

والمجاهدون ما زال الكثير منهم على قيد الحياة فلكم أن تسألوهم عن أقوالهم وأفعالهم ومعاملاتهم مع بعضهم ومع أفراد الشعب ولاسيما سكان الريف الذين كانوا يستقبلونهم على أساس مجاهدين ومحررين، وطوبى لمن استضاف مجاهدا.

وإن كان البعض يرى في وسيلة اغتيال المتعاملين مع الاستعمار من رجال الدين المسلمين عقوبة أشد قساوة أفقدت المجاهدين الجزائريين إنسانيتهم، فعلى العكس من ذلك يرى البعض الآخر أنها وسيلة أذكى وأنجح أوحت بفعالية الثورة وبصلابتها وعدم رأفتها بالمستعمرين وبالموالين لهم أكسبت المجاهدين هيبة ورهبة، كما أنها تفسر بوضوح منهجية العمل الانتقامي للمجاهدين.

وسائل جبهة التحرير الوطني في إثارة الشعور الديني لإشاعة الحقد على المستوطنين الأوروبيين والخونة.

كثيرة هي النماذج التي تساعدنا على فهم تكتيك جبهة التحرير الوطني واستراتيجيتها في استغلال العامل الديني في التعبئة الشعبية، ومنها:

1–نشر إشاعات مفادها أن أبناء الجزائر المسلمين لا يقبلون في الوظائف المهنية ما لم يطلق عليهم اسم محمد أو عائشة، كما ورد ضمن مقال نشرته جريدة «**Echo d'Oran**» التي وصفتها سلطات الاحتلال بالجريدة المسمومة «**l'inodore Echo d'Oran**» وذلك بتاريخ **1959/11/03**[36].

2– الكتابة على شواهد قبور الشهداء عبارة «**mort pour la patrie**»[37].

3– منع تعاطي الخمور والتدخين أو بيعهما.

4– توزيع مناشير تدعوا الجزائريين إلى غلق المحلات التجارية أيام الجمعة ببشار[38].

5– الدعوة إلى الانتفاضة بمناسبة ليلة المولد النبوي الشريف بغرداية يوم **1955/10/28** [39].

6–اعتبار الاشتراك المالي والدعم المادي للثورة فرض عين، وواجب كل مسلم جزائري تجاه إخوانه المجاهدين، وهذا ما لمسناه في رسائل موجهة من جبهة التحرير الوطني إلى أشخاص معينين من بينهم على سبيل المثال: المدعو بن صالح بلخضر من مواطني بسكرة[40]، والمدعو بلعابد بومدين رئيس بلدية المويلح ونائب وهران؛ والمدعو بلعابد سليمان نائب تلمسان[41].

7– تأطير الجبهة للمدارس القرآنية والكتاتيب؛ ومن ذلك على سبيل المثال بمدينة وهران:

– مدرسة حي الميناء القديم التي كان يديرها محمد بلعربي، وعدد طلابها 25 طالبا.

- مدرستان بـــ «البلاتو»، الأولى يشرف عليها تامي الهاشمي ولد محمد، والثانية محمد بن أحمد بـــ 15 طالبا.

- مدرسة بشارع الغرب، يدير شؤونها سي بوعزة بن عبد الرحمان، وعدد طلابها 30 طالبا.

- مدرسة بحي «Ronchauds» بـــ 15 طالبا، ويشرف عليها هبري أحمد ولد محمد(42).

خاتمة: يتأكد من خلال ربط الثوار الجزائريين لإيديولوجية جبهة التحرير الوطني بأصالة الشعب الجزائري، وبالعقيدة الدينية الإسلامية أنهم منحوا الثورة التحريرية الجزائرية شكلها التضامني، وبعدها الوطني، بحيث وجدوا استجابة طوعية وتجاوبا لدى الجماهير الشعبية الجزائرية.

كما يتأكد من خلال الممارسات الميدانية للشعائر الدينية أن قادة الثورة كانوا عباقرة ملهمين، قد استطاعوا فعلا السيطرة على قلوب جنودهم.

وأن التزام القاعدة الثورية بمبدأ الجهاد في سبيل الله والوطن هو الذي دعم سلطتهم، واكسبهم الشرعية، ومن ثمة ثقة الجمهور الجزائري المسلم، ومحبته لهم، فوفروا لهم ذلك أجيالا صلبة من المجاهدين.

كما أنه من خلال هذه النظرة الخاطفة والدراسة المتواضعة يمكن استخلاص جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

* أن الثورة الجزائرية هي حرب دنيوية أصبغت عليها صفة القداسة حيث جعلت من صراعها مع فرنسا شيئا مقدسا يستوجب التضحية الشاملة - بالدماء والأرواح وبأقصى ما يملكه الشخص، وهذا هو الشكل الحديث للحرب المقدسة-.

* إن الجهاد المفروض على المكافحين الجزائريين فرض عليهم التمسك بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة والإيثار والصبر على الشدائد والثبات عند مواجهة العدو، وطاعة القادة والامتثال لأوامرهم، وغرس في نفوسهم فكرة التكافل الاجتماعي والتعاطف.

* إن عدد شهداء ثورة أول نوفمبر 1954 يؤكد بشكل قطعي فرضية إقدام المجاهدين الجزائريين على الاستشهاد طلبا للجنة، وهذا ما يفسر بأن امتزاج الثورة بالدين قد أوجد وعيا وإدراكا لديهم، وإحساسا بالمسؤولية تجاه الوطن الذي تضاهي قدسية الدفاع عنه قدسية الدفاع عن الدين.

* إن الثورة الجزائرية كانت ذات عقيدة إسلامية، وذات مصدر إسلامي باعتمادها على قاعدة الجهاد وسيلة والحرب الثورية أسلوبا.

الهوامش:

1- وزارة الإعلام والثقافة، النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962) الجزائر: 1979، ص .35

2- الثورة عملية تاريخية، ويمكن تسمية كل عصر «بالعصر الثوري». والتاريخ تحكمه ثنائية الصراع ويتصف بالتغير والتطور والتكيف؛ فالعالم الآن غير ما كان عليه، وغير ما سيكون.

3- الشرعية الثورية (La légitimité révolutionnaire): هي حق الثورة في اتخاذ ما تراه-مناسبا- من إجراءات لتحقيق الأهداف التي نشبت الثورة من أجل تحقيقها، وهي حتما تكون خارج إطار القوانين القائمة، باعتبار أن الثورة تكون أصلا لتغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية القائمة والتي تحميها القوانين المنفذة قبل قيام الثورة، وبعض هذه الإجراءات يكون مجرد استثناءات تفرضها ضرورات الأمن لنجاح الثورة، وتكون مؤقتة إلى حين توضع القوانين الجديدة التي تحمي برامج الثورة. فالثورة تلجأ إلى الإجراءات الاستثنائية فقط حتى يتم تحويل مبادئها وبرامجها إلى قوانين ونظم. ومعيار الأمان فيما تتخذه الثورة من إجراءات تحت شعار الشرعية الثورية هو وضوح الأهداف وتحديد البرامج، وقبل ذلك أصالة الثورة بحيث تكون الإجراءات لصالح الأغلبية الساحقة من الجماهير، وليست لحماية أفراد أو مجموعة أو فئة. (عبد الوهاب الكيالي. موسوعة السياسة، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسة والنشر، 1999، ص ص 453-454).

4- سورة البقرة، الآية: .214

5- سورة آل عمران، الآية: .142

6- الفخر الرازي. التفسير الكبير، الجزء السادس، الطبعة الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي (د.ت)، ص .19

7- الجهاد: من الجَهد وهو التعب والمشقة أو من الجُهد وهو الطاقة، وهو في الاصطلاح قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله؛ وهو بذل الجُهد بالقتال والصمود للمحن والشدائد ورد العدوان. ينظر:

- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، باتنة: دار الشهاب (د.ت)، ص ص 169-173.

- القسطلاني. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المجلد الخامس، بيروت: دار الكتاب العربي، 1403هـ/1973م، ص 31.

-El-Moudjahid- Organe Central du F.L.N, N° 1 à 29, imprimé en Yougoslavie, Juin 1962, pp, 08-09.

يراجع أيضا: قانون المجاهد والشهيد، رقم91/16، المتحف الوطني للمجاهد1994 ص ص11-.15

8- أبو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية: 1900-1930، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، الجزائر: ش.و.ن.ت 1983، ص .41

9- مصطفى الأشرف. الجزائر: الأمة والمجتمع، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر:1983، ص .08

10- مثلا: حرية المسجد: البركة المكانية خلافا للأمكنة الأخرى؛ البركة الزمانية الصلوات الخمس، الجمعة، التراويح، الأعياد؛ فالمسجد هو جهاز إنذار مبكر يجمع الناس للصلاة وسماع الدروس ومن ذلك الدعوة للجهاد.

11- عبد المجيد عمراني. النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954-1962، باتنة: دار الشهاب، (د.ت) ص .56

12- «يعد مجاهدا كل شخص شارك في حرب التحرير الوطني مشاركة فعلية مستمرة بدون انقطاع، تحت لواء جبهة التحرير الوطني، وضمن مختلف هياكلها خلال الفترة ما بين أول نوفمبر سنة 1954، إلى 19 مارس 1962م» (من قانون المجاهد والشهيد رقم 16/91 منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص11).

13- يوسف يعلاوي «الجانب الروحي لثورة فاتح نوفمبر» الأصالة عدد خاص، الذكرى العشرون لاندلاع الثورة الجزائرية 1374-1394هـ/1954-1974، السنة: 03 العدد22 رمضان، ذو القعدة، ذو الحجة 1394هـ/ أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1974م، ص .83

14- مدرسون في المعهد الفرنسي لعلم الحرب. الحروب والحضارات، ترجمة أحمد عبد الكريم، المؤسسة الفرنسية لدراسات الدفاع الوطني، أبريل: 1984، ص .216

15- عمار بوحوش.«خصائص الثورة الجزائرية مقارنة بالثورات الكبرى في القرن العشرين»، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 08، السنة 94/93، ص .110

16- سورة البقرة. آية .249

17- سورة التوبة. آية .112

18- سورة آل عمران. آية 169-.170

19- يوسف يعلاوي. المرجع السابق، ص 83.

20- نداء أول نوفمبر .1954

21- سورة البقرة. آية: .256

22- سورة الكافرون. الآية: .06

23- بيان أول نوفمبر .1954

24- سورة البقرة. آية: 190-191.

25- مدرسون في المعهد الفرنسي لعلم الحرب. الحروب والحضارات، ترجمة أحمد عبد الكريم، مارس 1984، ص 216.

26-Mohamed Harbi. Le. F.L.N. Mirage et réalité (1954-1962). Alger: E.N.A.L, 1993, pp. 391-392.

27-C.A.O.M. Carton 1K / 876 (tract du F.L.N. – Mai 1957).

28- سورة الأنفال. الآية: 60.

29- سورة البقرة. الآية: .194

30- وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية، النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني. (1954-1962). الجزائر: 1979. ص 43.

31- نفسه، ص .50

32- نفسه، ص 35.

33-C.A.O.M- Carton 1K / 876. (liste des chefs de zaouias assassines par le F.L.N).

34- عبد القادر جغلول. الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطون، الطبعة الأولى، بيروت: دار الحداثة، 1984، ص11.

35-C.A.O.M. Carton, // 11.
36-A.N.O.M. Carton //726 (activités des mouvements dits nationaux)
37-A.N.O.M. Carton // 727 (bulletin quotidien des renseignements: Oran le 13/11/1959)
38-A.N.O.M. Carton 22H/91
39-Ibid.
40-Ibid. (secret: Biskra le 29/09/1955)
41-A.N.O.M. Carton // 727 (bulletin quotidien des renseignements: Oran le 29/09/1959
42-Ibid Oran le 15/10/1959.

محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة

أ. حاج عبد القادر يخلف*

مقدمة: يعتبر الشّهيد محمّد الأمين العمودي أحد رموز النّهضة الوطنية، كما يعدّ من رواد الحركة الأدبية والفكرية والسّياسية البارزة، في النّصف الأوّل من القرن 20م، إبّان العهد الاستعماري بالجزائر، ورغم ذلك لا يزال العمودي مجهولا حتّى بين الأوساط المثقّفة من أبناء الجزائر، رغم قيام ثلّة من الأساتذة الذين عرفوه، بتسخير أقلامهم لإماطة اللثام عن شخصيته والتعريف بها، محاولين بذلك ردّ الاعتبار للرجل، وفاء بما تقتضيه الصحبة، فنقلوا إلينا بأمانة ما توافر إليهم من معلومات، ليست في الواقع سوى غيضا من فيض إسهامات الرّجل وإبداعاته في مجالات مختلفة، إلاّ أنّ هذه البضاعة المزجاة على قلّتها تشكّل لنا عند جمعها فسيفساء، إذا ما قمنا بترتيبها وتركيبها فسنكتشف الصورة الكاملة للجوانب المتعدّدة لهذه الشّخصيّة، التي جمعت بين الأدب نثرا وشعرا والصّحافة والتّرجمة والسّياسة والوطنية أوّلا وقبل كلّ شيء.

ترجمة حياته: ولد محمّد الأمين العمودي عام 1890 [1]، وبدأ تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه "وادي سوف" بالجنوب الشرقي الجزائري، وفي 16 من عمره التحق بمدرسة قسنطينة الفرنسية الإسلامية (Franco-Musulmane)، وقد كانت هذه المدرسة بالإضافة إلى مدرسة تلمسان تخرّج الشخصيات، من أصحاب المهن والوظائف الحكومية، وبعد أربع سنوات من العناء يتخرّج منها بشهادة تسمح لصاحبها بتولّي منصب عون قاض أو وكيلا لدى المحاكم الشرعية أو عدلا بمحكمة القاضي[2]، ومن حملة هذه الشهادة يختار من يسعفه الحظ حيث يواصل دراسته بمدرسة الجزائر التي كانت تقوم بتكوين وتخريج القضاة ورجال المحاكم وأعوان الإدارة الأهلية[3].

وعقب تخرّجه من مدرسة قسنطينة تقلّد عدّة وظائف في مساره المهني، منها وظيفة كاتب عدل في" فجّ مزالة "، ثم وكيلا شرعيا في بسكرة النخيل باب الصحراء، والجزائر العاصمة، فعميد للوكلاء الشّرعيين في العاصمة أيضا، كما شغل منصب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في السّنوات الخمس الأولى من تأسيسها ما بين 1931 و1936، وهو منصب لا يفوز به إلاّ من أثبت

*- أستاذ مساعد ب في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران.

جدارته، وأجمعت الأوساط العلمية والفكرية من الطبقة المثقفة على أحقيته لهذا المنصب، ثم ترأس بعد ذلك جمعية شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان من سنة 1937، الّتي تصدّت للموالين لفرنسا من الجزائريين والأجانب، معبّرة عن طموحات الشعب الجزائري.

وساهم العمودي في صناعة الكلمة لإبراز الصورة الإعلامية الحقيقية للجزائر في مرحلة حسّاسة جدّا، حيث أرادت سلطة الاحتلال وإدارته وأد الجزائر العربية الإسلامية ومحو صورتها من الوجود بإلباسها لباس الإدماج والفرنسة والإلحاق بفرنسا ما وراء البحر، ليتمّ لها اجتثاث الجزائر من جذورها وبقائها إلى الأبد فرنسية بكلّ ما تحمله الكلمة من معان تدلّ على نجاح المشروع الاستدماري بالجزائر.

فكتب العمودي ونشر مقالاته الصحفية ، واستقلّ بجريدة خاصّة به هي جريدة الدّفاع (La defense)، التي أسّسها سنة 1934 باللّغة الفرنسية، وكانت موضوعاتها تتمحور حول الدّفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، بقوّة الحجّة وصدق الكلمة وموضوعية الطّرح، كما هاجم السّلطة الجائرة وخصوم الشّعب، وكشف نشاطهم بأسلوب لاذع ومتميّز، فاعتبرتها الإدارة الفرنسية جريدة منكرة للحكم القائم، وأوقفت صدورها سنة 1937.

ويذكر أحمد توفيق المدني- وهو أحد من عرفوه عن كثب- " أنّه ما لبث أن أصبح من رجال الصحافة المبرّزين، وكان قلمه قلما فرنسيا بديعا يضاهي أو يفوق أقلام مهرة رجال الصّحافة الغربيين[4]"، وهذه شهادة تدلّ دلالة واضحة على سبق الرجل في ميدان الصّحافة وفصاحته النّاذرة باللغتين العربية والفرنسية، وقد أقرّ له بهذا العدوّ قبل الصّديق، ويضيف قائلا: " كانت تلك الصحيفة أي (La défense) مرآة مشرقة، تصوّر الرّأي العام الجزائري أصدق تعبير"[5]، وهو ما يوحي بأنّها كانت بالفعل القلم الذي يدافع عن آلام وآمال الجزائريين في هذه الفترة العصيبة من تاريخ الأمّة الجزائرية.

وقد مال الأمين العمودي في السّنوات الأخيرة من عمره إلى الانطواء على الذّات وطلّق السّياسة والسّياسيين، وابتعد عن حقولها الملغّمة وأكاذيب الاستعمار التي كانت تهدف إلى قتل الوقت والضّحك على الدّقون ليس إلاّ، فقد أصبح جسده لا يقوى على الحركة بعد أن أعيته الأزمات وأثّرت فيه الهموم، وقلّة المال وتكاليف العيال، وأصيب بالارتعاش وكاد يصاب بالشّلل، وخرج ذات يوم من منزله بحيّ سانت أوجين (بولوغين حاليا) إلى المحكمة الشّرعية بالجزائر في الوقت الذي كثّفت فيه اليد الحمراء نشاطها الإرهابي ضدّ المثقفين الجزائريين، فخطفته عناصر من هذه المنظمة، ولم ترحم كبر سنّه والأمراض الّتي كانت تسكن جسده، ولم ترع حرمة الإنسانية فيه فاغتالته يد الإجرام ببرودة، وعثر

عليه طريحا قرب البويرة في أكتوبر1957م، ودفن بمقبرة حي سانت أوجين[6]. فختم بذلك حياته بشهادة الأبرار - رحمه الله- عن سبعين سنة[7].

الجانب الصّحفي: لم تخلو الصحف الجزائرية فيما بين الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية من كتابات الأمين العمودي، الذي كان صحفيّا بارعا، يمتاز بالمهارة والألمعية، يكتب باللّغتين العربية والفرنسية في الأمور الأدبية والشّؤون الاجتماعية والسّياسية ذات الصّلة بالوطنية والمواطنة، وقد تميّزت كتابته بالبساطة والموضوعية.

فكانت بدايته الإعلامية خلال العشرينيات في صحيفة (النّجاح) في عهدها الأوّل، كما كتب في (الإقدام) باللسان الفرنسي للأمير خالد، عندما كان يصدرها السيد الصادق دندن[8] وفي (الإصلاح) و(صدى الصّحراء) بسكرة وفي (المنتقد) و(الشّهاب) لابن باديس بقسنطينة، وفي صحف (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) الأولى قبل (البصائر) وأخيرا في (الجزائر الجمهورية) " **Alger Républicain**" الجريدة اليومية التقدّمية الصّادرة بالفرنسية من العاصمة، ثم استقلّ بإصدار صحيفة (الدّفاع) "**La defense**" بالفرنسية في العاصمة سنة **1934** وكان رئيس تحريرها والمسؤول الأوّل عنها، ودامت **5** سنوات لتتوقّف مع بداية الحرب العالمية الثّانية، بسبب منع السلطات الاستعمارية كلّ النشاطات السياسية والصحفية في مستعمراتها أثناء الحرب.

وتميّزت هذه الجريدة بصدق الكلمة وقوّة الدّليل في الدّفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، وعبّرت عن مجتمعهم أصدق تعبير، وعرّفتهم بما يجهلونه عن عروبتهم وإسلامهم وتاريخ وطنهم ومزاياه، وكانت دوما تدعوهم للتآلف والتكاثف والترابط، في وقت كانت بعض الصّحف لمواطنين جزائريين تدعو للتجنّس أو الاندماج مثل صحيفة (الصّوت الأهلي) "**La voix indigène** " للزناتي المتجنّس، و(صوت العمّال) "**La voix des humbles**"[9]، للأستاذ العربي طاهرات الاشتراكي على الطّريقة الفرنسية، أي على خطى وأفكار الحزب الاشتراكي الفرنسي.

وشعورا منه بما يمليه عليه الواجب الوطني، وما تحتّمه عليه النّخوة العربية والواجب الدّيني، فقد ردّ الأمين العمودي على هاتين الصّحيفتين وعلى مثيلاتها من الصّحافة الاستعمارية المتطرّفة في هذه الفترة ومنها "**L'echo d'alger**" و"**La dépèche quotidienne**" و"**La dépèche de constantine**" ، ونتيجة لمواقفه اللاّذعة تعرَض للمضايقات والسّجن[10].

بلغ الصّراع الفكري أشدّه بين الإصلاحيين والطّرقيين، فأصدر هؤلاء صحيفة بعنوان (المعيار) لون ورقها أخضر كلون الجنّة فيما يزعم أصحابها، وهي لسان حال (جماعة السنّة) كما يدّعون، وكان

سلاحها الذي تستعمله ضدّ الإصلاحيين هو القدح والشّتم بأسلوب ركيك، وردّا على هذه الجريدة تكوّنت جريدة (الجحيم)، التي كان لون ورقها أحمرا كلون جهنّم، وحروف عنوانها مكتوبة بشكل ثعابين وأفاعي فاغرة أفواهها فوق ألسنة من اللّهب، وتحت العنوان كتبت العبارة الآتية: "العصا لمن عصى"، ولم تكن هذه الجريدة تتكلّم باسم جمعية العلماء، كما كانت المعيار تتكلّم باسم جمعيتها، ولم يكن ابن باديس راض عنها، وكان على رأسها الأمين العمودي و السّعيد الزّاهري، اللّذان أظهرا براعة ناذرة في ردع الخصوم بالنّقد والتّجريح، نظما ونثرا في قوالب أدبية مختلفة من نكت ونوادر وقصص وطرائف، فيها الجدّ والهزل والدّعابة والسّخرية"[11].

ومّما تقدّم يتبيّن لنا أنّ النطاح الفكري كان على أشدّه بين الجماعتين، وكان لكلّ منهما طريقته وأسلوبه في التعبير عن آرائه في شكل مساجلات فكرية رائعة وراقية، لعب فيه العمودي والزمّوشي الدّور الرّئيس في الردّ على بدع الطرقية وانحرافاها، فكانا قطبي الرّحى في هذه المعركة الفكرية بحكم معرفتهما الواسعة بلغة العرب نثرا ونظما، وإلمامهما الكبير بالشريعة الإسلامية سنّة وعقيدة فجمعا في أسلوبهما بين الجدّ والهزل، وأجادا كلّ فنون الأدب التي لم يكن يستطيع أن يباريهما فيها أحد من رجالات الطرقية حينئذ.

جانب الترجمة: هناك الكثير من الوثائق والأقوال الّتي تشير إلى تعاطي العمودي للتّرجمة ببراعة فائقة، ومن ذلك أنّه اشتغل في فترة فجّ مزالة وبسكرة مساعد التّرجمان الشّرعي، فكان يقوم بفرنسة المطالب والشّكاوى والعقود وما يتقدّم به المواطنون من وثائق، زيادة على التّرجمة الفورية بين المواطنين وأعوان السّلطة الاستعمارية، الذين كانوا لا علم لهم باللغة العربية، ويكفيه شهادة الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما عارض بعض الأشخاص تعيين العمودي ضمن وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري، فقال ابن باديس يومها: "لا أرضى بغير العمودي ترجمانا لي، فهو الذي يستطيع تبليغ أفكاري وترجمة كلامي إلى المسؤولين الفرنسيين، وينقل إليّ كلامهم بأمانة وإخلاص فالأمين العمودي هو لساني (الأمين) الذي لا أبغي به بديلا"[12].

كما نعرف أنّه تخرّج من مدرسة قسنطينة الفرنسية– الإسلامية ، الّتي تؤهّله للقيام بأعمال التّرجمة الرّسمية، والنّقل من لغة إلى أخرى بين العربية والفرنسية (يستويان عنده في النّقل منها وإليها)[13]، ونظرا لاضطلاعه الواسع على الثّقافتين العربية والفرنسية، "فهو يمثّل بأفكاره أبعد ما وصل إليه التفكير الإصلاحي من تحرّر بالنّسبة لقضية تعليم المرأة، ولعلّه الوحيد بين الكتّاب الإصلاحيين ممّن يجمع بين اللّغتين بتمكّن، وقد اعترف له الأصدقاء والأعداء بالمهارة والألمعية، مسّه رشاش من نظريات

المتفرنسين ولكنّه لم يبتل، وحاول جاهدا أن يعبّر عن تمسّكه بالرّوح الإصلاحية السّلفية، وموافقته لنظريات رجالاتها"[14].

وممّا لا شك فيه أنّ الرّجل سبق عصره فكان على قدر كبير من التفتح الذي لا يعني الانحلال والتفسخ والاضمحلال، بل لعلّه كان من رواد الدّعوة إلى الأصالة والمعاصرة، في زمن كان يصعب فيه الحديث عن المزاوجة بين الاثنين، لاعتقاد الكثيرين من أصحاب الفكر الضيّق أنّ ذلك ضرب من الخيال، يستحيل فيه الجمع بين النقيضين.

جانب الشّعر: كان الأمين العمودي شاعرا من شعراء الجزائر وأديبا من أدبائها، وتعود نشأة شاعريته إلى أيّام دراسته بقسنطينة عندما كان في ريعان شبابه، حيث كان شعره آنذاك ذاتيا، لكنّه سرعان ما اقتحم معركة الشّعر الاجتماعي الموجّه لمثل عليا، والمنفّر للطّباع من بعض المظاهر، والمرشد إلى جمال الحياة وسواء السّلوك، والسموّ بالهمّة للدّرجات العلا، وقد كتب الشّيخ محمّد الهادي الزّاهري السّنوسي رحمه الله كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر)، الذي صدر الجزء الثّاني منه عن مطبعة النّهضة بتونس سنة 1346هـ/ 1927م، وفيه ترجمة الشّهيد بقلمه، ومجموعة من الأشعار تبلغ 146 بيتا موزّعة على 6 قصائد هي كالتالي:

- ضاقت على ذكر ما قاست أعوام.
- الشّكر للنعمى يوفّرها.
- نار عصيبة التلهاب.
- أمر دبّر بليل.
- الطّبيعة السّاحرة.
- رواية زوجين يتحاكمان أمام القاضي.
- جواب الزوج.
- الحكم[15].

وأضاف د.صالح خرفي قصيدة أخرى بعنوان: الأمير خالد من 24 بيتا[16]، وغيرها وقد يبدو للبعض من مجرّد ملاحظة هذه الأرقام أعلاه أنّ الأمين العمودي كان من الشعراء المقلّين بالنظر إلى عدد ما كتب من القصائد، إذا ما قورن بفطاحل الشعر في عصره، وفي ذلك جانب كبير من الصحّة ولا مجال للمقارنة، وما من شك أنّ الاستعمار عندما قام بسجنه سنة 1940 ببربروس وتعطيل جريدته "الدفاع " قد وصل إلى ممتلكاته الفكرية فأتلف ما عثر عليه، ومن المحتمل جدّا أن يكون في ذلك بعض

القصائد، إلاّ أنّ الحقيقة التي لا يختلف حولها اثنان هي أنّ شعره كان اجتماعيا ساخرا يتميّز بالدّعابة والطّرفة الهادفة، ومن أمثلة ذلك الأبيات التي قالها في طبيب مسلم متزوج بفرنسية وله منها غلام وهي:

حي الطبيب ولا تنس قرينته   هو سليمان و(المدام) بلقيس
له غلام أطال الله مـــدتـــه   تنازع العرب فيه والفرنسيس
لا تعذلوه إذا ما خان أمّته   فنصفه صالح والنصف"موريس"[17]

ونجده ينفّر من بعض الطّباع والسلوكات، ويرشد إلى السلوك السويّ، ويدعو إلى علوّ الهمّة، وقد تعدّدت أغراض كتابته الشعرية بما في ذلك الجانب الذاتي. ويعترف له أهل الاختصاص في هذا الفنّ بقيمة ما يمتلك من مؤهلات وكفاءات، ويكفي أن نذكر في هذا الباب ما ورد على لسان الشاعر الأديب الأستاذ أحمد البدوي، إذ يقول عن العمودي: "لقد كان أديبا مطبوعا، يجري مع سليقته العربية في كلّ ما يكتب أو ينظم، ممّا يدلّ على أنّ محصوله من الثقافة جدّ وافر، وهو الذي كان يحدّث أصدقاءه عن كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) لمؤلّفه العلاّمة المقرّي التلمساني، ويحثّهم على مطالعته واستظهار بعض ما يحتويه من أدب جمّ، وعلم غزير، وكثيرا ما كان ينثر عليهم ما التقطته حافظته من جواهر هذا الكتاب العظيم، الذي كان في ذلك الوقت عزيز الوجود، لا يعرفه الكثير من القرّاء"[18].

وفضلا عن هذا وذاك فإنّ المؤكد لنا أنّ هذه القصائد لم تكن تخلو من رائحة الوطنية، وصدق العاطفة والدفاع عن المقدسات وذمّ الاستعمار بكلّ أشكاله، والدعوة إلى التحرّر من الفكر الخرافي، والنهوض بالأمّة بسلاح العلم والمعرفة لا غير.

الجانب النّضالي: قال الأمين العمودي عن نفسه: "أمّا حياتي فحياة كلّ مسلم جزائري، حياة بلا غاية ولا أمل، حياة من لا يأسف على أمسه، ولا يغتبط بيومه، ولا يثق بغده"[19].

إنّ المتأمّل بنظرة فاحصة لهذه العبارات، يدرك أنّ العمودي كان صاحب نظرة تشاؤمية طغت على تفكيره، حيث كان في بداية حياته النضالية يعاني من ظلمة الاستعمار وظلمه، ككلّ الأحرار والشرفاء في هذا الوطن الأبيّ، إلى درجة أنّ الحياة كانت لا تعني شيئا بالنسبة إليه، فلا يختلف أمسه عن يومه، ولا تعرف السعادة طريقا إلى قلبه، والأدهى والأمرّ من ذلك أنّ الغد بات زمنا مجهولا ومخيفا، لا يدري ما قد يزوّده به من أخبار وأحداث أو كوارث.

ظلّ العمودي على هذا المنوال، إلى أن اجتمعت جهود الرجال من علماء الإصلاح في أرض الوطن، ودعي إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931، فانتقل من بسكرة إلى الجزائر، وكان في طليعة الملبّين والمؤسّسين لهذه الجمعية، وعندها وجد نفسه يخرج من قوقعته ويتخلّص من همومه، ويتسلّح بالحزم والجدّ والإخلاص والأمل مع العمل، لمواجهة الاستعمار الفرنسي وأذنابه.
وتبرز عبقريته أكثر في صبيحة الاجتماع العام الثّاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1932، عندما لاحظ امتلاء القاعة بأصحاب السبح "الشيخ أحمد بن عليوة" والطّرقيين، فأدرك أنّهم يحاولون تفجير الجمعية من الدّاخل والاستيلاء عليها، فأشار واتّفق مع الشّيخين محمّد خير الدّين والسّعيد الزّاهري، بأنّ أوراق الانتساب إلى الجمعيــة ستغيّر، بناء على امتحــان يقوم شيخــان من العلمــاء لإثبات علمية المنتسب أو جهله، ونجحت هذه الخطّة في إفشال محاولة الطّرقيين للتدخّل في شؤون جمعية العلماء بصورة قانونية[20].

فكرة المؤتمر الإسلامي: جاء على لسان الأمين العمودي وهو يخاطب ابن باديس: "سيقع الكلام عن الجزائر، وربّما بتّ في أمرها النّواب الفرنسيون والجزائر غائبة ..." وبعد أخذ وردّ بينهما قال: "لا أرى خروجا من هذه الورطة إلاّ بانعقاد مؤتمر تتمثّل فيه الأمّة بطبقاتها، وتعرب عن نفسها وتطالب بحقّها، فقال له ابن باديس: "أدع للمؤتمر، ونحن نؤيّدك"، فقال العمودي: "ينبغي أن تكون الدّعوة صادرة منكم لأنّكم رئيس جمعيّة العلماء، ولأنّ اسم عبد الحميد بن باديس له قيمته ووزنه في الشّعب الجزائري وغيره". ونتج عن هذا تحرير دعوة للمؤتمر بالعربية والفرنسية، أمضاها الشّيخ عبد الحميد بن باديس، فكان لها مفعولها، لكنّ العقبي استاء لذلك ورأى أنّ الجمعيّة لا ينبغي لها أن تتدخّل في السّياسة وهذا قضاء على الجمعيّة، إلاّ أنّ ابن باديس ردّ عليه قائلا :"أنا إذا دخلت السّياسة دخلتها باسمي كمسلم جزائري صحفي لا كرئيس لجمعية العلماء"[21].

وسافر الوفد وشارك العمودي في أعمال المؤتمر الإسلامي الجزائري من يوم تأسيسه في سنة 1936، وبعد رفض الحكومة الفرنسية لمطالبهم، ونكوص الدّكتور ابن جلوّل عن المؤتمر، يضاف إلى ذلك عراقيل أخرى، فشل المؤتمر من وجهة نظر البعض، وخرجت كتلة النّوّاب المسلمين منه، فتألّفت في سنة 1937 هيئة أخرى، للحفاظ على أهداف المؤتمر والدّفاع على أسسه وقواعده تدعى (شباب المؤتمر) ترأسها الأمين العمودي، وكان الفضيل الورتلاني نائبا عنه فيها.

ويشير المدني في هذا الصدد، أنّ العمودي "كان له القدح المعلّى بعد ذلك في إقامة هيكل المؤتمر الإسلامي الجزائري، والنضال في مضماره نضالا محمودا جريئا صادقا، واضطلع بمهمّة تكوين شباب

المؤتمر الإسلامي، مع جماعة من رجال المؤتمر، فأصاب المحز، وأنشأ ذلك الشباب صالحا عاملا نشيطا"[22].

ومن قراءتنا لأحداث المؤتمر الإسلامي، يتبيّن لنا أنّ الرّجل كان وراء فكرة المؤتمر والدّاعي إلى إقامته، والمهندس الحقيقي لكلّ ما جرى فيه من وقائع، ممّا يؤكّد تشبّعه بالسياسة وأخذه بكلّ الأسباب التي من شأنها أن تحقّق المطالب، التي كان الشعب الجزائري يرومها في هذه الحقبة من الزمن.

وأمام فشل المساعي الرّامية إلى إلغاء القوانين العرفية الزّجرية، (**L'indigénat**) الّتي جرّدت الجزائريين من أبسط حقوقهم الإنسانية، وحوّلتهم إلى مجرّد أهالي نازعة عنهم صفة المواطنة، ووسط ظروف طغى عليها الفكر الخرافي باسم الدّين في أوساط الشّعب الجزائري، إلى جانب بروز دعوة بعض الأصوات من المثقّفين الجزائريين الدّاعين إلى التفرنس والتجنّس كوسيلة للنّهضة، زاعمين أنّ تعاليم الدّين لا تتّفق مع قواعد الرّقي"[23].

وهذا الزعم لا يختلف حوله عاقلان، فهو باطل ما بعده باطل، ومن هنا وجد العمودي نفسه وسط هذه الأوضاع القاسية، التي أجبرته على التعامل معها بحكمة المثقف الواعي المتبصّر بمجريات الأمور وعواقبها، وحمّلته مسؤولية النّضال بالكلمة والقلم موظفا اللّسانين العربي والفرنسي في كتاباته، ويمكن تلخيص ما تميّز به نضاله فيما يلي:

– مكافحة الدّجل والشعوذة والخزعبلات، التي كانت تقف سدّا منيعا أمام تحرّر العقل، ومحاربة كلّ مظاهر الخيانة والتخلّف، من خلال جريدة الجحيم.

– الدّفاع عن حقوق ومصالح الجزائريين المسلمين باللسان الفرنسي، باستماتة لا هوادة فيها، عبر جريدته الدّفاع "**La défense**"، الّتي أسّسها في سنة **1934**، وقد ردّ من خلالها على مغالطات الصّحافة الاستعمارية، وكافح طغيان الإدارة الفرنسية، وتصدّى للمشروع الاستعماري، الذي كان يهدف إلى إلحاق الجزائر بفرنسا ما وراء البحر، كجزء لا يتجزّأ من الإمبراطورية الفرنسية إلى الأبد، فطرح فيها مطالب الشّعب، وهو ما عرّضه للسّجن سنة **1940** ببربروس، بعد تعطيل جريدته أثناء قيام الحرب العالمية الثّانية.

– وعندما وضعت الحرب أوزارها و كان قد خرج من ظلمة السّجن، ورغم أنّه منع من إعادة إصدار جريدته، بقي مناضلا بطريقته الخاصّة في الشّارع والمقهى، وحيثما وجد إلى ذلك سبيلا، إلى أن اندلعت الثّورة التحريرية المباركة، التي وجد فيها تعبيرا صادقا للحلم الذي طالما راوده، فانغمس فيها قلبا

وقالبا كغيره من المناضلين[24]. ذلك أنّه كان يرى فيها بداية النهاية إلى طريق الحرية والانعتاق، بعيدا عن كلّ القيود والأغلال، التي كان الاستدمار الفرنسي يطوّق بها أيادي ورقاب الشعب الجزائري.

ويشير الشّاعر والمترجم الأستاذ الطّاهر بوشوشى، إلى أنّ الأمين العمودي قام بتحرير وترجمة التّقرير، الذي قدّم في ملف القضيّة الجزائرية للأمم المتّحدة، عن التعذيب الجهنّمي والأساليب الوحشية، الّتي كانت السّلطات الفرنسية تستعملها ضدّ الشّعب الجزائري ... هذا التّقرير الذي قدّمه الأخ عبد القادر شندرلي، إلى لجنة تصفية الاستعمار بالأمم المتّحدة سنة 1957 ... وقد كانت المعلومات تجمع بواسطة مناضلي الجبهة، ويقدّمها الشّيخ الصدّيق مصباح إلى العمودي، ليصوغها في تقرير أفحم الدّبلوماسية الفرنسية، وفضح ادعاءاتها وأكاذيبها. وبعد حصول القضيّة الجزائرية على حقّ التسجيل في الدّورة 11 للأمم المتّحدة، المنعقدة خلال شهري (جانفي- فيفري من سنة 1957)، توصّلت السّلطات الفرنسية بعد بحث مدقّق إلى صاحب التّقرير، فألقي القبض على الشّيخ الصدّيق مصباح، وتأكّدوا من أنّ صاحب التّقرير هو الأمين العمودي، ويذكر الأخ بوشوشى أنّ الشّيخ مصباح أكّد له بعد الاستقلال، أنّ العمودي هو صاحب التّقرير بنصّه العربي والفرنسي، أمّا المعلومات الواردة فيه من جمع مناضلي جبهة التّحرير الوطني[25].

وممّا تقدّم يتضح لنا أنّ الرجل تفاعل بكيانه مع الثورة بجميع أحداثها ومستجدّاتها ، فسخّر قلمه واستخدم معرفته القانونية والأدبية، وقدرته على التعبير باللغتين العربية والفرنسية، لإيصال صوت الجزائر إلى كبرى المحافل الدولية، للتعريف بالقضية الجزائرية أملا في إدراجها كحق شرعي يمكّنها من المطالبة بتقرير مصيرها، لإيمانه العميق بأنّ كسب المعركة العسكرية يمرّ عبر كسب رهان المعركة الإعلامية والدبلوماسية، ويكون من نتائج ذلك الحصول على التأييد والاعتراف والدّعم المادّي والمعنوي – الذي كانت الجزائر في مسيس الحاجة إليه حينئذ – من قبل الدّول الشقيقة والصديقة والشعوب المحبّة للسلام.

خاتمة: كحوصلة لموضوع بحثنا هذا يمكن الخروج بمجموعة من النّقاط نلخّصها كالتّالي:

– إنّ الأمين العمودي شخصية قانونية معتبرة، تستطيع التّأثير بالنّفع أو الضّرر، باعتبار أنّه كان ملمّا بالقانون من خلال ممارسته الميدانية لفترة من الزمن، فضلا عن اطّلاعه الواسع على أحكام الشريعة الإسلامية، ولا شك أنّه كان يجمع بين الاثنين بدون إخلال.

- تجاوزت عبقرية الرّجل مجال العدالة ودواليب الإدارة إلى الصّحافة السّياسية والأدبية، إذ أنّه بالإضافة إلى الجانب القانوني، كان أديبا لامعا راجت أشعاره وذاعت كتابته في الشّؤون الأدبية، فضلا عن كونه صحفيّا بارعا ومتميّزا في القضايا السّياسية والاجتماعية لوطنه.

- كما ساهم العمودي في حركة التّرجمة، بحكم تمكّنه من اللّغتين العربية والفرنسية، فكتب بهذه كما كتب بتلك، ويكفيه فخرا - وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في معرض البحث - أنّ الإمام عبد الحميد بن باديس اختاره دون غيره كي يكون ترجمانا له في المؤتمر الإسلامي سنة 1936.

- كان الرّجل يجمع بين الأصالة والعصرنة، وبين الدّين والسّياسة بمرونة فائقة، فيدافع عن حقوق المسلمين الجزائريين، ويحارب التجنّس والتفرنس، ويدعو إلى تعليم المرأة المسلمة، ويقف ضدّ الدّجل والفكر الخرافي.

- كان يمتاز ببعد النّظر السياسي، ويؤمن بما يدعو إليه من أفكار وطنية بعزم وإصرار، فأوحى إلى ابن باديس بفكرة المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، ودافع عن هذه الفكرة بعد فشل المؤتمر، بسبب المعوّقات التي واجهته بتأليفه لهيئة شباب المؤتمر سنة 1937 للحفاظ على روح وأهداف المؤتمر، والدّفاع عن أسسه وقواعده التي أنشئ من أجلها.

- فجّر كلّ طاقاته وإبداعاته، وسخّر شبابه ثائرا على الأوضاع، وجلّ كهولته مناضلا لا يخشى في قولة الحقّ من بطش الاستعمار ولومه، فعرّضه لسانه وقلمه إلى السّجن، ثم الاغتيال على يد جماعة اليد الحمراء الإرهابية، التي تتبعت العقول الجزائرية والمثقفين البارزين من أبناء الوطن، نكاية منها بكلّ من ساهم في تحريك وتنوير الشعب الجزائري في ثورته المجيدة، لينال بذلك شرف الشّهادة، مسجّلا اسمه ضمن القائمة الطّويلة لشهدائنا الأبرار، وباستشهاده رحمه الله تنطفئ شمعة من شموع الفكر الجزائري المعاصر، فالمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

الهوامش:

1) – الشّيخ محمّد الهادي الزّاهري السّنوسي، " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " ، مطبعة النّهضة ، تونس 1346 هـ / 1927 م، ص 19 – 20. وقد أورد الأستاذ حمزة بوكوشة أنّ ولادة العمودي كانت حوالي سنة 1891م. ينظر مقاله: شخصيات منسية (الأمين العمودي)، في مجلّة الثقافة، الصّادرة عن وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة الأولى، العدد 6، ذو القعدة 1391هـ/جانفي1972م، ص.47

2)- حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص49.

3)- محمد الأخضر عبد القادر السّائحي، نماذج من الشعر الجزائري المعاصر، " ترجمة مختصرة للأمين العمودي في مجلّة أمال"، الجزء الأول، وزارة الثقافة، الجزائر، 1982، ص.7

4)- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، دار البصائر- الجزائر، ج2، ص.499

5) _ أحمد توفيق المدني، نفس المصدر والصفحة.

6) _ حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص61-62.

7) _ أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ج2، ص500.

8) – حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص55.

9) – يشير الدّكتور محمّد ناصر في كتابه" المقالة الصّحفية الجزائرية"، المجلّد 1، ص 73، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1978 إلى كلمة (المستضعفين بدلا من كلمة (العمّال).

10) – محمد الصالح رمضان،" الأديب الشهيد الأمين العمودي كما عرفته" في مجلّة الثّقافة، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر ، عدد 43، بتاريخ 8 صفر وربيع الأوّل 1398 هـ / فيفري ومارس 1978 م، ص 18 –19.

11) – المرجع نفسه، ص 17 – 18.

12) – نفسه، ص 19–20.

13) – نفسه، ص 22.

14) – د. محمّد ناصر، المرجع السابق، المجلّد 1، ص.243

15) – محمد الهادي الزاهري، المرجع السابق، صص21–30.

16) – د. صالح خرفي، كتاب "الشعر الجزائري"، صص48–50 من الملحق الشعري (الشعر القومي)، الجزائر، (د.ت). كما وردت هذه القصيدة في جريدة "الإقدام"، عدد 103، 26 نوفمبر 1922، وقد نشرت مغفلة من غير إمضاء ولكنها قدمت بما يشير إلى (الأمين العمودي).

17) – حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص55. محمد الصالح رمضان، المرجع نفسه، ص13 وفيه في الشطر الأوّل من البيت الثالث كلمة (ملّته) بدلا من (أمّته) عند الأستاذ بوكوشة.

18) – من كلمة في ندوة الموقار، نوفمبر 1977.

19) _ أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ج2، ص.499

20) – مذكّرات الشّيخ محمّد خير الدّين ، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر 1985، ص112 – 119، ينظر كذلك رواية الشّيخ ابن باديس لهذه الواقعة في مجلّة الشّهاب، ج8 م.8

21) – د. *أبو القاسم* سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مطبعة الجيلاوي – القاهرة 1975، ج3، ص162، ينظر أيضا: م. الثّقافة، العدد 86، السّنة 15، ص 223 – 224.

22) _ أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ج2، ص500.

23) – د. محمد ناصر، نفس المرجع، ج1،ص 278 – 279.

24) – من كلمة الأستاذ الطّاهر بن عيشة في ندوة الموقار، نوفمبر 1977 .

25) – الأستاذ محمّد الأخضر عبد القادر السّائحي، محمّد الأمين العمودي، م.و. للكتاب- الجزائر،1988، ص 24 إلى 26.

وثائق وصور نادرة خاصة باستشهاد القائد ديدوش مراد

أ.د. علاوة عمارة*

عندما عثرت منذ بعض الأشهر في الأرشيف الفرنسي على وثائق معركة دوار الصوادق الواقعة في بلدية كندي السمندو (Condé-Smendou)، زيغود يوسف حاليا، لم أكن أعلم أني تحصلت على الشهادات الوثائقية الأخيرة الخاصة بأحد رموز الثورة التحريرية؛ فبعد أن احتفظت بها رفقة عدد آخر من الوثائق عرضتها لأول مرة بمناسبة الذكرى الثامنة والخمسين لاستشهاد القائد الكبير ديدوش مراد التي تزامنت مع خمسينية استعادة السيادة الوطنية.

في ملف خاص وضع في غير محلّه[1]، عثرت على التقرير الخاص بمعركة دوار الصوادق الذي حرّر بعد يومين من انتهائها، أي يوم 20 جانفي 1955، والذي يحتوي على خمس صفحات مرفقة بأربع صور فتوغرافية. كما يتضمن الملف أيضا تقرير ناقص ممضى من القبطان بيلان (Biland) قائد مجموعة جندرمة قسنطينة.

بالإضافة إلى عدد من التقارير السابقة واللاحقة لاشتباك دوار الصوادق حول هيكلة نشاط جيش التحرير الوطني بمنطقة كوندي السمندو Condé–Smendou (زيغود يوسف حاليا). كما نجد أيضا بطاقة تهنئة من رئيس بلدية عين البيضاء موجهة إلى رئيس دائرة قسنطينة المدعو ماسوني (Massoni) تهنئ بنجاح عملية القضاء على هذه المجموعة من "الخارجين عن القانون".

سأحاول هنا تقديم تقرير الشرطة القضائية الذي يحمل إمضاء أندري فيلال (André Villele)، الذي كان مفتشا عاما للشرطة القضائية بقسنطينة (الفرقة الأولى المتنقلة) وموجه إلى محافظ ورئيس الفرق المتنقلة للشرطة القضائية بعمالة قسنطينة.

كما يشمل الملف أيضا ختم وإمضاء المحافظ العام للشرطة القضائية جون لاجيني (Jean Lagugne) الذي يؤكد فيه اطلاعه على الموضوع بتاريخ 20 جانفي 1955 وتحويل نسخ منه إلى ديوان الحاكم العام للجزائر وإلى مديرية الأمن العام للجزائر ومتولي عمالة قسنطينة (Le préfet du

*- أستاذ التعليم العالي في التاريخ الوسيط- قسم التاريخ- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة.

(Le sous-préfet de ،département de Constantine) وإلى رئيس دائرة قسنطينة (Constantine.

ماذا جرى بوادي بوكركر يوم 20 جانفي 1955؟: يبدأ التقرير بعرض ما حدث يوم 18 جانفي 1955م بداية من حوالي الساعة الثامنة والنصف صباحا، حيث يقول: بأن دورية تتشكل من رئيس فرقة جندرمة كوندي السمندو وهو هيج (Huygues) مع قسم من رجاله الذين ساندهم مفرزة الجندرمة المتنقلين التي كانت موجودة في كوندي السمندو بقيادة الملازم ملارب (Malherbe)، اصطدمت في دوار الصوادق، وبالضبط بمشتة قراوة بمجموعة متكونة من عشرات من "الخارجين عن القانون" كانوا مختبئين في الأحراش (الديس) على امتداد مسار وادي بوكركر.

يقول التقرير: إن البداية كانت بفتح "الخارجين عن القانون" للنار على الدورية مما أدى إلى مقتل الجندرمي جوزيف بكون (Joseph Bescond) وإصابة زميله جيلبار لومو (Gilbert Lemoult) بجروح خطيرة في يده اليمنى، مما استدعى استقدام إمدادات إضافية متكونة من الجندرمة المتنقلين ووحدات التدخل السريع (CRS). وبوصول هذه الوحدات، قاد العملية كل من الكمندان مافي بارتيي (Maffi–Berthier)، والقبطان بيلان (Biland)، والملازم ملارب (Malherbe). واستمرت الاشتباكات إلى غاية حلول الظلام.

في نهاية المعركة، كما يضيف التقرير، تمّ إحصاء سبعة جثث تعود "للخارجين عن القانون"، كما تمّ أسر عبد القادر مصباح بسلاحه، وعثر على السعيد شوقي بعدما أصيب بجروح بليغة. ووصل إلى مكان المعركة محرّر التقرير المفتش العام أندري فيلال (André Villele)، رفقة المحافظ العام كامي جايول (Camille Gayol) لجمع المعلومات الكاملة حول العملية.

الاستنطاق: محورية القائد زيغود يوسف في العمليات الثورية في منطقة كوندي السمندو قبل أن يصل التقرير إلى عرض أسماء وهوية شهداء جيش التحرير الوطني في معركة دوار الصوادق، قام المحافظ العام المشار إليه سابقا باستنطاق الأسير عبد الرشيد مصباح بن عيسى، حيث ساعده في مهمته المفتش الرئيسي محمود بوشلعون والمفتشان سنا قيقو (Sanna Gugo) وروني ميشلي (René Michelet).

يقول التقرير بأن المجاهد الأسير اعترف بانضمامه إلى اللجنة الثورية للوحدة والعمل (CRUA) بكوندي السمندو بفضل محمد الصالح ميهوبي، حيث شارك رفقة مجموعة تتكون من عشرين شخصا بمهاجمة مقر جندرمة كوندي السمندو ليلة 13 ديسمبر و1 نوفمبر 1954، بقيادة زيغود يوسف بن

سعيد، حيث يضيف التقرير بأن هذا الأخير هو "شخص خطير جدا، كان قد فرّ من سجن بونة (عنابة) المدني في أفريل 1951م بعدما كان محتجزا بتهمة "المساس بوحدة التراب الفرنسي"، في قضية المنظمة الخاصة (OS). وبعد هجوم أول نوفمبر، رجعت كل المجموعة إلى المنطقة الجبلية بدوار الصوادق في مشتة المغايزية بمساعدة سكان المنطقة، حيث انضم إليهم بعد ذلك خمسة أشخاص.

يقول التقرير المعتمد على تصريحات المجاهد الأسير بأنه وبعد مرور شهر على انطلاقة "الأحداث" وبالنظر لصعوبة التموين، قرّر زيغود يوسف الذي كان يقود العمليات تشكيل مجموعتين: المجموعة الأولى بقيت في مشتة المغايزية "تحت أوامر X... Abdelkader " فيما منحت قيادة المجموعة الثانية إلى عمار بوضرسة المعروف بعيسى، والتي استقرت بدوار الغرازلة، حيث آواها رابح زعبار بمشتة عيون القصب. هذا الأخير تمّ التعرف عليه وتوقيفه قبل هذه الحادثة.

بالنسبة للمجموعة الأولى التي انتمى إليها المجاهد الأسير عبد الرشيد مصباح، يقول التقرير بأن هذا الأخير أوضح بأن زيغود يوسف وبوشريحة عباس وعلي بلوصيف وعمار ريكوح ومحمد الصالح ميهوبي كانوا وراء تخريب خط السكة الحديدية في المكان المسمى Les Deux-Ponts (قنطرة الحديد حاليا)، قرب كوندي السمندو. كما أن زيغود يوسف اختار عباس بوشريحة وعلي بلوصيف لقتل محمد الهادف، وهو حارس حقول (Garde-champêtre)، يوم 18 نوفمبر 1954، لكن العملية لم تؤدي إلى وفاته بعدما تعرض لطلقات جريحة.

وفي الأخير يكون المجاهد الأسير قد اعترف- بحسب التقرير دائما- بأن زيغود يوسف كان وراء اغتيال صالح عليوات يوم 13 جانفي 1955م في جهة سد زردازة (الحروش) وهذا بعدما كلّف العيد غريبي بتنفيذ العملية بفعل رفضه تعويض مبلغ مالي تابع للمنظمة العسكرية. ونسبت إلى هذه المجموعة أيضا محاولة اغتيال حارس الحقول فضيل دليمي قرب بيزو (Bizot)، -ديدوش مراد حاليا- يوم 7 جانفي 1955م، حيث تعرّف هذا الأخير على زيغود يوسف وإبراهيم ريكوح خلال العملية.

إنّ البناء الهيكلي للثورة في منطقة كوندي السمندو كما جرى توثيقه بناء على "اعترافات" المجاهد الأسير عبد الرشيد مصباح، يتناقض مع هيكلة جيش التحرير الوطني في الشمال القسنطيني؛ فالقيادة العليا للمنطقة نسبت إلى زيغود يوسف بمساعدة إبراهيم ريكوح بن المكي، في حين أن القائد الفعلي الذي عينته قيادة الثورة في اجتماع جوان 1954م "سي عبد القادر" لم يكن سوى قائدا لمجموعة فرعية متمركزة في قرية المغايزية.

إنّ قيادة زيغود يوسف لوحدات جيش التحرير الوطني في المنقطة الواقعة بين كوندي السمندو والحروش ووصولا إلى سيدي مزغيش تتوافق مع الوثائق والشهادات المتوفرة[2]، غير أنّ تواجد ديدوش مراد كقائد عسكري لمجموعة صغيرة من المجاهدين لا ينسجم مع الوقائع التاريخية. على الخصوص وأن ديدوش مراد قضى معظم وقته في الانتقال بين قسنطينة وسكيكدة ومختلف البلدات لتوسيع الثورة وإقناع المترددين في الالتحاق بها. فهل أن تصريح عبد الرشيد مصباح يندرج في إطار إخفائه لقيادته المجموعة التي اشتبكت مع الوحدات الفرنسية، رغم أنه متزعمها فعليا بحسب شهادة المجاهد محمد قديد؟ فهذا الأخير كتب أن زيغود يوسف وعبد الرشيد مصباح ومحمد الصالح بلميهوب هم من تولوا مسؤولية مجموعات منطقة كوندي السمندو[3].

سي عبد القادر: قائد شهيد لم يتم التعرف على هويته إنّ محتوى التقرير الذي ينسب إلى المجهول "X... عبد القادر" قيادة مجموعة مشتة المغايزية يؤكد بما لا يدع مجالا للشك فشل الأجهزة الاستخباراتية الفرنسية في اختراق الوحدات القتالية الأولى لجيش التحرير الوطني في الشمال القسنطيني؛ فإذا كانت عدد من التصريحات تزعم متابعة المخابرات الفرنسية لتحركات القائد ديدوش مراد بين مقر عمليات منطقة الشمال القسنطيني في جبل التوميات وبني صبيح ومنطقة الحدائق، فإن ما كتب حول المعركة يؤكد عكس ذلك لأنّ الجهات العسكرية الفرنسية المحلية كانت تجهل تماما وإلى غاية 29 جانفي 1955 أنّ "X...عبد القادر" هو الاسم الحركي للقائد ديدوش مراد. وإلى القارئ التفاصيل:

جاء في الصفحة الثالثة من التقرير هوية "الخارجين عن القانون" الذين تمّ القضاء عليهم في كوندي السمندو يوم 18 جانفي 1955م. كتبت أرقام بقلم الرصاص أمام كل اسم بما يمكن من التعرّف على هويته.

– بن غرس الله بلقاسم المعروف بـــ"بن دريس": ولد يوم 7 جوان 1927م بـــتل الزيتون (Col des Oliviers) (عين بوزيان حاليا)، ابن ابراهيم بن دريس وعائشة سياري بنت حسين، متزوج مع روني إيفون باروس (Rennée Yvonne Barousse)، دون أولاد. (رقم 5 في الصورة).

– عياش يوسف، أعزب، ولد يوم 4 أفريل 1936 بدوار الصوادق Condé-Smendou، ابن محمد عياش بن علي والمرحومة فاطمة درويش بنت علي (رقم 2 في الصورة).

– عباس بوشريحة: ولد يوم 10 مارس 1935 بدوار الصوادق، ابن عبد الله بن سعد وسكينة بوشريحة بنت عمر. (رقم 4 في الصورة).

- بلوصيف علي، أعزب، ساكن بدوار السبيخة. ولد يوم 11 نوفمبر1934 بدوار السبيخة (Commune de Condé-Smendou)، ابن بلوصيف عبد الله بن علي وبو لعيزب لويزة بن أحمد. (رقم 3 في الصورة).

- قربوعة محمد، فلاح يقطن بدوار كرفان بـ Jemmapes (عزابة حاليا). ولد يوم 5 جوان 1928 في دوار المجابرية بـ Condé-Smendou. ابن قربوعة العربي بن عبد الله وقربوعة فاطمة بنت محمد، متزوج ببوزيد الزهرة بنت محمد. (رقم 7 في الصورة).

- نعاس عمار، فلاح مقيم في دوار الصوادق، ولد في حوالي 1915 بذات الدوار. ابن نعاس زيدان بن الصغير والمرحومة زبير زينب بنت الطاهر، متزوج ببوخاتم فاطمة المعروفة بالطاوس. (رقم 1 في الصورة).

- X..... عبد القادر، عمره حوالي 35 سنة، القامة 1م و75 سم، شعر أسود... شارب على الطريقة الأمريكية...، من علاماته الخصوصية تاج ذهبي مثبّت على الطواحن العلوية اليسرى، وكان يلبس قميصا أبيض وسروالا مدنيا أزرق...

إنّ عملية التعرّف على جثث الشهداء لم تكشف للسلطات الأمنية الاستعمارية حقيقة عبد القادر الذي نسبت إليه عملية قيادة مجموعة مشتة الغنابزية، ولم تكن تعلم أن عبد القادر أو سي عبد القادر هو الاسم الحركي للقائد ديدوش مراد، وهو ما تأكد لها لاحقا. بل إنّ التساؤل المطروح هو هل كان المجاهد الأسير عبد الرشيد مصباح يجهل الهوية الحقيقية لسي عبد القادر؟ ولماذا لم ينسب إليه قيادة منطقة الشمال القسنطيني وربطها بالقائد زيغود يوسف؟ أم أنّ المعني تجنّب الكشف عن هوية القائد؟

إنها أسئلة تطرح من خلال الاطلاع على محتوى التقرير الميداني. إنّ الصور الملحقة بالتقرير العام أو محضر المعاينة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن الجثة التي تحمل رقم 6 هي للقائد ديدوش مراد. إنّ هذه الصور تبقى نادرة بالنظر للمدة القصيرة التي قضاها المعني في قيادة العمليات الثورية في منطقة الشمال القسنطيني.

إنّ الوثائق الملحقة التي حرّرت بين 20 و29 جانفي 1955م تستمر في جهلها بالهوية الفعلية لديدوش مراد، فعلى سبيل المثال تتحدث وثيقة سرية أمضاها رئيس دائرة (Le sous-préfet) قسنطينة يوم 29 جانفي 1955م عن "عصابة المتمردين في ناحية كوندي السمندو" جاء فيها خصوصا تأكيد مقتل المجاهدين المشار إليهم سابقا بأسمائهم ما عدا ديدوش مراد الذي ورد باسم X.... Abdelkader، مع إضافة توقيف مجاهد آخر وهو رابح بوشريكة بن أحمد.

أسلحة خفيفة: يتطرق التقرير إلى الأسلحة التي وجدت بصحبة شهداء معركة دوار الصوادق، ويقدم جردا شاملا مكتوبا وبالصور، حيث كانت في غالبيتها المطلقة بنادق إيطالية قصيرة (carabines italiennes) متعددة النوعيات (Statii, Berrater, Beretta) وبندقية كندية وبندقية إيطالية ومسدس، وقنابل تقليدية و56 خرطوشة عيار 7،65 و26 خرطوشة عيار 9 ملم و15 وعلبة بها 70 صاعق، و144 خرطوشة لبنادق statti، و376 خرطوشة كندية، وعلبة منشورات خاصة، وأغراض أخرى مختلفة.

بهذه الأسلحة الخفيفة استطاع مجاهدو جيش التحرير الوطني (عددهم على أرجح الروايات 17 عنصرا) مقاومة وحدات الشرطة والجندرمة لأكثر من ثمان ساعات، وتبيّن أن الوحدات القتالية لجيش التحرير الوطني بمنطقة كوندي السمندو (زيغود يوسف حاليا) كانت في طور التكوين والتنظيم.

مُعطيات جديدة: تجمع الشهادات المتوفرة خصوصا تلك التي دوّنها المجاهد محمد قديد مرافق ديدوش مراد في تنقلاته في الشمال القسنطيني على استقرار هذا القائد في معظم وقته في قيادة المنطقة بجبل التوميات[4]. غير أن اسم ديدوش مراد أو اسمه النضالي سي عبد القادر لم يرد بتاتا في التقارير المتوفرة التي سبقت معركة دوار الصوادق. فعلى سبيل المثال، يتحدث تقرير أرسله القبطان بيلان إلى رئيس فيلق جندرمة قسنطينة بتاريخ 12 جانفي 1955م عن عصابة متمردة في شرق كوندي السمندو حيث تمّ التعرف على عناصرها بناء على الاعترافات المنزوعة من ريكوح أحسن وبوضرسة مسعود وبوضرسة عبد الله الذين جرى توقيفهم في نهاية ديسمبر 1954م. في قائمة طويلة ورد على رأسها بوضرسة عمار وزيغود يوسف لا نجد أثرا لديدوش مراد رغم تمركزه بالجهة.

إنّ تكثيف الدوريات في المنطقة، والتنسيق الأمني مع الجهات الأمنية في سكيكدة كانت من المطالب الأساسية للقبطان بيلان، حيث اعترف في تقريره بنقص المعلومات وصعوبة المواصلات في مجال متميّز بتضاريس صعبة.

إنّ الرواية الأكثر انتشارا حول معركة دوّار الصوادق واستشهاد القائد ديدوش مراد هي تلك التي نشرها المراسل إيف كوريار (Yves Courrière) في كتابه المعروف "حرب الجزائر"؛ ففي هذه الرواية نرى إقحاما لوحدات الجيش الفرنسي بقيادة الكلونيل ديكورنو (Ducournau)، ومما جاء فيها: "بداية من جانفي، اصطدم ديدوش وزيغود بقوات ديكورنو الفعّالة، حيث ترك هذا الأخير الأوراس في محاولة لمنع الشمال القسنطيني من تتبع الأوراس".

يذكر إيف كوريار بأن قائدا جبهة التحرير الوطني قرّرا التنقل من شمال الحرّوش إلى قالمة، لكن وجب عليهما إيجاد ملجأ في كوندي السمندو بالنظر للمراقبة التي فرضتها القوات الخاصة، وعندما وصلا الرجلان إلى كوندي السمندو في الساعة الثالثة صباحا لاحظهم العملاء الذي أبلغوا الجندرمة. وفي الساعة السادسة والنصف صباحا تقدّم سبعة عناصر من الجندرمة حيث اشتبكوا مع سبعة عشر مقاتلا لجيش التحرير الوطني في أرض مسطحة وعارية، حيث طلب الجندرمة مساعدة الكلونيل ديكورنو بالحرّوش، والذي أرسل في الحين 400 مقاتل من القوات الخاصة؛ فكانت الحصيلة مقتل 12 من جيش التحرير الوطني من بينهم ديدوش مراد وأسر اثنين[5].

هذه التقارير التي عرضناها تفند هذه الرواية حيث أن القوات الخاصة لم تشارك في المعركة، كما أن عدد شهداء جيش التحرير الوطني لم يتجاوز السبعة، في حين أن عدد المشاركين تؤكده الوثائق حيث تشير إلى نجاة عدد من المقاتلين منهم الإخوة ريكوح وبولعراس بوشريحة.

الهوامش:

1-Archives Nationales d'Outre-Mer (ANOM), Aix-en-Provence, 9314-101

2- محمد قديد، الرد الوافي على مذكرات علي كافي، (د. ت. ن)، 2012، ص .31

3- نفسه، ص 42.

4- محمد قديد، المصدر السابق، ص 27–30.

5-Yves Courrière, La Guerre d'Algérie, vol. 2 : Le temps des léopards, Alger, Casbah éditions, 2005, p. 148-149

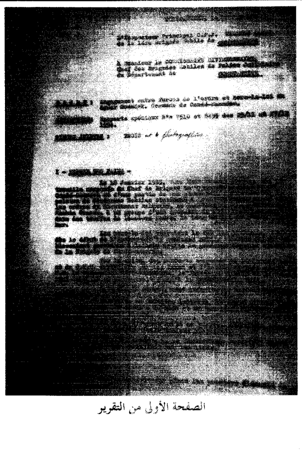

الصفحة الأولى من التقرير

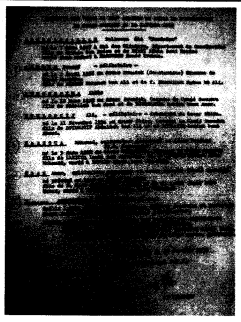

هوية الشهداء: رقم 6: سي عبد القادر، وهو الاسم الحركي لديدوش مراد

صورة للأسلحة التي كانت بحوزة الشهيد ديدوش مراد ورفاقه

رقم 6 في الصورة: جثة القائد الشهيد ديدوش مراد

وقائع وكواليس اختطاف طائرة زعماء الثورة الجزائرية في 22 أكتوبر 1956م.

د. بن عتو بلبروات*

تمهيد: لا تزال عملية القرصنة الجوية الفرنسية ضد الطائرة التي استقلها الزعماء الخمسة(1) للثورة الجزائرية يوم 22 أكتوبر 1956م، يشوبها الغموض؛ فالمصادر التاريخية العربية المعاصرة لحادثة الاختطاف؛ بعضها يقدم عموميات حول الموضوع، والبعض الآخر يتهم البلاط الملكي المغربي والرئاسة التونسية اتهاما صريحا بتورطهما في عملية الاختطاف، وأخرى ترى أن هذين البلدين هما ضحية ثقتهم بفرنسا، وأن التواطؤ كان بين باريس والجزائر، بخلاف الرأي الذي يبرئ ساحة الحكومة الفرنسية. وفي هذا الصدد ارتأينا أن نبني موضوعنا هذا على جانب مهم في قضية الطائرة المختطفة قد تجاوزته- في اعتقادي- الكتابات العربية وتحديدا الجزائرية، وتتعلق بوقائع وكواليس الاختطاف الجوي من بدايته إلى نهايته، لما تقدمه من توضيحات حول الموضوع، اعتمادا على كتاب بعنوان: **Tournaux, J.R. Secrets d'Etat. Plon, Paris, 1960.pp :127-135**

وقد قمنا بترجمة ما يتعلق بالاختطاف إلى اللغة العربية مع الحفاظ على المصطلحات والألفاظ والأفكار الاستعمارية كما وردت في الكتاب، وتسجيل ما يمكن تسجيله من نقد وتوضيح في الإحالات، كما حاولنا بادئ ذي بدء وضع عملية الاختطاف في سياقها التاريخي حتى تُفهم وقائع القرصنة الجوية الفرنسية.

1- رحلة قادة الثورة إلى مدريد في أكتوبر 1956: ذكر أحمد بن بلة في شهادته الحية بقناة الجزيرة القطرية أن قادة الثورة الجزائرية بالخارج وهم : أحمد بن بلة ومحمد بوضياف ومحمد خيضر وحسين آيت أحمد قد قرّروا دراسة مقرّرات مؤتمر الصومام في مدريد- عاصمة إسبانيا- وقد التقى بهم هناك الصحفي الجزائري مصطفى الأشرف(2)، وفي خلال أيام 15-17 أكتوبر اتصل الأمير الحسن ولي العهد المغربي، بالوفد الجزائري- في غياب بن بلة الذي لم يلتحق بعد- وطلب منهم أن يكون لقاؤهم بخصوص دراسة مسودة الاتفاق الجزائري- الفرنسي في الرباط لإطلاع والده " محمد الخامس" بالمسودة، ثم يسافر الجميع إلى تونس، وخصّص لهم طائرة لتنقلهم إلى المدينة المذكورة أو أنه يذهب

*- أستاذ محاضرة أ في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة الجيلالي ليابس- سيدي بلعباس.

معهم[3]. وحسب منشور جبهة التحرير الوطني الجزائري، كانت فرنسا على علم بزيارة القادة الخمس للسلطان المغربي لأن الأمير مولاي الحسن قد زار باريس، وأطلع رئيس الحكومة الفرنسية "غي مولي **Guy Molley**" على نوايا والده بشأن الحل السلمي لمشكلة الجزائر[4]، مما يوحي بأن السلطان محمد الخامس وولده مولاي الحسن أرادا التعاون مع الحكومة الفرنسية التي تفاوضت شهورا مع جبهة التحرير الوطني[5] في مصر ويوغوسلافيا وروما قصد التوصل إلى صيغة توافقية بين الطرفين من أجل حل الأزمة الجزائرية. لكن سلطان المغرب خدعته حكومة فرنسا والحكام الفرنسيون قد خانوا ثقة الملك فيهم[6]، وبالتالي نلاحظ أن جبهة التحرير الوطني الجزائرية تستبعد مؤامرة المؤسسة الملكية المغربية كما جاء في مذكرات "فتحي الديب" المصري.

2- رحلة قادة الثورة إلى المغرب الأقصى (أكتوبر **1956**): في **19** أكتوبر **1956** وصل قادة الثورة الخمس إلى تطوان حيث استقبلهم الملك محمد الخامس[7] بقصره، وفي الغد انتقلوا إلى الرباط لوضع اللمسات الأخيرة للقاء المرتقب مع الحبيب بورقيبة[8]، وحضور مؤتمر تونس لدراسة الحل السلمي بالجزائر الذي دعت إليه فرنسا والمغرب وتونس، وفي الوقت نفسه إعلان التضامن المغربي-التونسي للمسعى الجزائري الفرنسي. وكانت الخطة أن يسافر الجميع على متن الطائرة الملكية، وفجأة تقرر أن تقلع الطائرة الملكية دون الزعماء الخمسة للثورة الجزائرية على الساعة **17** من يوم **21** أكتوبر بحجة أن الملك محمد الخامس سيصطحب معه حريمه حسب شهادة بن بلة[9]، والحقيقة في اعتقادي أن القصر الملكي المغربي قد وصلته معلومات عن نية سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر عن اختطاف أي طائرة يركبها قادة الثورة ولو كانت ملكية، فتقرر أن يسافر الملك محمد الخامس مع حاشيته إلى تونس دون القادة الجزائريين وذلك من باب الحفاظ على سلامة الملك، ولا يمكن إخفاء تحركات الملك لأن بالمغرب جمع كبير من الفرنسيين، متعاونين مع الفرنسيين بالجزائر كما كان يعمل بمطارات المغرب كتقنيين عدة مخبرين فرنسيين تابعين لمصالح الاستعلامات الفرنسية، ويرتبطون بالديوان العسكري لوالي الجزائر روبير لاكوست **Robert Lacoste**[10]، ناهيك عن وجود مستشار فرنسي للملك محمد الخامس كان قائما على سجنه في مدغشقر، وصار صديقه وموضع ثقته[11].

3- إقلاع قادة الثورة إلى تونس واختطافهم بالجزائر يوم 22 أكتوبر **1956**: استأجرت الشركة المغربية للنقل طائرة تجارية من نوع **DC3** تمتلكها شركة الخطوط الجوية أطلس **Air Atlas**[12] لنقل الزعماء الخمسة للثورة الجزائرية إلى تونس بصحبة صحفيين فرنسيين ومغاربة، يتراوح عددهم بين **20** إلى **25**، أما الطاقم الفني فهم فرنسيون، وقد ركبها الزعماء الخمسة بأسماء ومهن مستعارة وبجوازات

سفر مغربية؛ فأحمد بن بلة استعار اسم محمد الغرباوي المولود بالدار البيضاء سنة 1920 ومهنته تاجر، ومحمد خيضر استعار اسم عبد الله الجيلالي، المزداد بالقنيطرة سنة 1921 ومهنته ملاك، ومحمد بوضياف استعار اسم محمد علي المزداد بالدار البيضاء سنة 1921 ومهنته تاجر، وحسين آيت أحمد قد استعار اسم عمر بن عيسى المولود بولماس سنة 1921 ومهنته تاجر[13]. وذكر بن بلة أن ولي العهد وقتذاك مولاي الحسن قد ودعهم بالمطار، ولما حلقت الطائرة في الجو بدأت التحركات الفرنسية بالجزائر والتخطيط لإرغامها على الهبوط بمطار وهران أو الدار البيضاء بالجزائر العاصمة، وهنا نصادف معلومات مفصلة ودقيقة حول الكواليس الفرنسية بالجزائر بشأن اختطاف الطائرة، وفي الوقت نفسه وقائع القرصنة الجوية.

4- كواليس ووقائع اختطاف الطائرة DC3: ذكر الكاتب الفرنسي جوان رايمون تورنو معلومات تاريخية تفضح كواليس الشخصيات العسكرية بالجزائر وحتى بباريس بشأن اختطاف طائرة القادة الخمسة للثورة الجزائرية عند توجههم من الرباط إلى تونس لحضور مؤتمر يتعلق بدراسة مسودة الاتفاق الفرنسي- الجزائري. وفي الوقت نفسه بيّن الكاتب الحوار الذي جرى بين السلطات العسكرية الفرنسية بالجزائر والطاقم الفني للطائرة المراد اختطافها. ونقدمها مترجمة إلى اللغة العربية مع الاحتفاظ بحقنا في نقد أو توضيح ما نراه يدعو إلى ذلك في مساحة الإحالات كما ننبه إلى أن العناوين المسجلة هي من اجتهادنا قصد ضبط أفكار النص المترجم.

أ- الكواليس الفرنسية لاختطاف الطائرة: على الساعة 8 و30 دقيقة من يوم 22 أكتوبر 1956م وصل "بيير شوصاد **Pièrre Chaussade**"، الأمين العام لوزارة الجزائر، إلى مكتبه، ولم يكد أن يباشر عمله حتى وفد عليه الكولونيل "دي كورنو **Ducournau**"، وهو مدير الديوان العسكري للجنرال "لاكوست"، وعميد القوات المظلية، والذي سيكون له الدور البارز في عملية اختطاف الطائرة، كما كان بصحبته رئيس الديوان المقدم "برانيت **Branet**".

*قال الضابطان الساميان للأمين العام: "ضربة رائعة سيدي الأمين العام، سيمر بن بلة على متن طائرة فوق رؤوسنا، يجب لدغه مع كل رفاقه الغزاة"[14].

*الأمين العام: "تقولون بن بلة؟ مستحيل ! كيف ذلك؟"[15]

*الضابطان: "إليكم. السلطان سيطير على الساعة 10. 45 د.[16] من سلا بصحبة بن بلة، خيضر وأقرانه، والقافلة تتجه لحضور ندوة تونس، والمركبة تطير في سماء الأرض الجزائرية.

*الأمين العام: "يستحيل النظر والأنف باتجاه السماء، والسادة يعبرون، رغم أن الطائرة هي لملك أجنبي."

*الضابطان: " كيف نفسر هذه الخفايا للرجال الذين يطيرون مع الأوغاد[17]. إنهم متورطون في خيانة وطنهم."

*الأمين العام: " يجب الإخطار والنظر إلى الكل عن كثب".

أجرى الأمين العام اتصالا هاتفيا مع لجنرال "فراندو **Frandon**" قائد الناحية العسكرية الجوية الخامسة، والذي كان يعلم بإقلاع الطائرة منذ الصبيحة الباكرة. وأصبح عندئذ العميد جرمان **Germain**– مسؤول مصلحة التوثيق الخارجي والجوسسة المضادة (**S.D.E.C.E**)–[18] على الخط. وتم إعلام الناحية العسكرية العاشرة. والأمر بقي ينتظر المبادرة؟ ولم تكن هيئة الأركان بذلك الحماس الشديد على أساس أن الأمر من شأن الحكومة.

وكان روبير لاكوست يوم 22 أكتوبر يتنقل عبر إقليم الدوردون **Dordogne**[19] ولا يمكنه الدخول إلى الجزائر بسرعة، أما كاتب الدولة للطيران، السيد هنري لافورست **Henry Laforest** فقد أنهى زيارته الرسمية إلى لشبونة **Lisbonne**، أما السيد بورجيس مونوري-**Bourgès Maunoury** وزير الدفاع الفرنسي فقد غادر منزله- رفقة مدير ديوانه السيد أبل توماس **Abel Thomas**– لحضور أشغال التحضير لحملة السويس بلندن[20]، لكن السيد توماس تلقى على الساعة 07 صباحا، وأثناء المغادرة، مكالمة هاتفية من القيادة العامة لهيئة الأركان الفرنسية، تعلمه بعبور طائرة ملكية، وعلى متنها ركاب متمردون، الجو الجزائري قائلة له: "إنه استفزاز. لا يمكن للجيش أن يبقى مكتوف الأيدي. ماذا نفعل؟" ردّ توماس أبل: "إنها مسؤولية وزارة الجزائر. راقبوا واتخذوا الإجراءات التي ترونها مناسبة ومطابقة للقانون الدولي، وللتوجيهات العامة بخصوص أمن الحدود"[21].

وأخيرا، التحق الجنرال لوريلو **Lorillot** بالسيد ماكس**Max** بباريس، وبدون تردد أعطى كاتب الدولة للقوات المسلحة الضوء الأخضر للجزائر والتنسيق مع الجنرال كوني**Cogny**، القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالمغرب[22].

ب- الأمر باعتراض طائرة السلطان المغربي: في الساعة 10 صباحا صدر أمر اعتراض طائرة السلطان على أساس أنه من قبيل الأوامر التقنية، لأن السلطات الفرنسية لم تستقبل ترخيصا بالطيران بسماء الأراضي الجزائرية، وهو ما يشكل خرقا وانتهاكا لقواعد المرور الجوي. علاوة على ذلك يمكن فتح النار على كل طائرة تطير بسماء الإقليم الجزائري دون ترخيص حسب تعليمة دائمة للجزائر.

وفي الساعة 10. 30 صباحا، تلقت منطقة الدفاع الجوي Z.D.A[23] التي يقودها الجنرال "ديستياك Destaillac"، اتصالات غير رسمية حول خصوصيات طائرة السلطان المغربي "محمد الخامس"، فهي طائرة مستأجرة من طرف الحكومة الشريفية العلوية، ولاتوجد خطة للرحلة. وفي الساعة 11. 30، تم تمرير خطة الرحلة السلطانية، وأجرت الناحية الجوية الخامسة مكالمة هاتفية تأمر بالمطاردة والتخلي عن الرصد والمراقبة. وقد تابعت الرادارات الفرنسية المركبة من خلال المجال الجوي الجزائري، وفي الوقت ذاته علمت المصالح الأمنية بالجزائر بأن بن بلة ورفاقه قد ركبوا طائرة من نوع DC3.[24]

ج- بن بلة ورفاقه يسافرون لوحدهم: كان البلاط الملكي المغربي يفضل ركوب ضيوف الشرف لمحمد الخامس بطائرة السلطان، لكن الملك أدرك- وهو سياسي محنك- طبيعة الفضيحة وخطورتها[25]، فأشار عليه صديقه ومستشاره الفرنسي "تويا بيارني Touya Béarnis" بحكمته ورقته، وهو لواء الدرك الفرنسي، كان قائما على سجن الملك محمد الخامس بمدغشقر، وأصبح مصدر ثقة الملك بعد تحريره، قائلا له: "اهدأ وارتح. لا توجد لديك موانع وقيود لأن ترفض مصاحبتي إلى تونس. بن بلة ورفاقه سيسافرون لوحدهم."

وفي الواقع اتخذت قيادات جبهة التحرير الوطني مكانا بطائرة تجارية سخرت لفائدتهم من طرف الحكومة الشريفية بعد أن أثارت فضول العامة على إثر نشر خبرهم في جريدة البريد الوهراني Le courrier d'Oran من طرف أحد المغاربة.

د- معركة الرادارات: لازال الفرنسيون متمسكون بفكرة القبض على بن بلة ورفاقه لأنها فرصة سانحة لتوجيه ضربة عنيفة للمتمردين[26]، وفي الساعة 13: بيّن مركز المراقبة الجهوي بالدار البيضاء (الجزائر) وضعية الطائرة DC3 حسب خطة رحلتها أو مسارها الجوي من: الدار البيضاء (المغرب)- سلا- وجدة- تونس. وعندئذ نُشر الإنذار.

وفي الساعة 14: تلقى مركز المراقبة الفرنسية بالجزائر، معلومات تفيد أن خطة رحلة طائرة DC3 قد عُدلت على خط البليار، لأن المجال الجوي مقسم إلى مناطق معلوماتية، وتستحوذ كل واحدة حسب الاتفاقيات الدولية على موجات خاصة بها. ورأت الشركة الشريفية للنقل أنه من الحكمة التملص من الاستماع للجزائر قصد المرور إلى قطاع إشبيلية. وبدأ المركز الجهوي الفرنسي بالجزائر يتنصت لموجات المنطقة الاسبانية، وكانت كل محطات الردارات الفرنسية جاهزة للاستماع والتنصت في حدود الساعة 15، وفي الساعة 16 دخلت وهران في الخط مع الطاقم الفرنسي لطائرة DC3 التجارية.

هـــ- الحوار التاريخي بين سلطات الاحتلال وطائرة DC3:

وهران: "اختلقوا عطبا، واهبطوا بالطائرة في وهران".

قائد الطائرة: "ما هذه الحكاية ؟"

وهران: "لديكم خمسة أوغاد على متن الطائرة، ونريد القبض عليهم."

قائد الطائرة: "من يعطي الأمر؟"

وهران: "وزير الدفاع الوطني"، وهنا انتاب طاقم الطائرة وقائدها تردد شديد.

قائد الطائرة: "انتظروا، سنهبط بمطار بالما دي مايوركا."[27]

في الساعة السادسة مساء، أقلعت طائرة DC3 من جديد، وأبلغت الشركة الشريفية للنقل بأن توقيت الوصول إلى تونس سيكون على الساعة التاسعة و25 دقيقة مساء، وبعد حيرة أصابت السلطات الفرنسية بالجزائر، تم ربط خط الاتصال بين وهران وبرج المراقبة بالدار البيضاء [الجزائر]، وأعيد الحوار مع قائد طائرة DC3 ليكون هذه المرة من مدينة الجزائر العاصمة:

الجزائر: " تعالوا للهبوط بالجزائر".

قائد الطائرة: "باسم من تتكلمون ؟"

الجزائر: "باسم الحكومة الفرنسية."

قائد الطائرة: " نطلب تدقيقا".

الجزائر: " باسم الحكومة الفرنسية، وأوامر لاكوست، وزير الجزائر".

قائد الطائرة: "نحن نعمل لصالح شركة أجنبية، وهذه الأوامر لا تعنينا".

الجزائر: "نحتاج إلى الفلاقة"[28].

وعلى إثر ذلك أعلم قائد طاقم الطائرة DC3 شركته بالأمر المرسل إليه، ليتم إحالته إلى السلطات المغربية، فقامت وزارة النقل المغربية بإصدار أمر يقضي بعودة الطائرة إلى بالما دي مايوركا. لكن المراقبة العسكرية الفرنسية اعترضته، وأوقفت الاتصال بين الطائرة DC3 والسلطات المغربية[29]، وحينها أضحت الرباط معزولة ولا تعلم شيئا. وعلى ضوء هذا التطور الخطير وفي الساعة السابعة مساء طلب طاقم الطائرة من السلطات الفرنسية بالجزائر الترخيص لها بالعودة إلى المغرب الأقصى، فرد عليهم صوت مجهول من برج المراقبة بالدار البيضاء قائلا: "تعالوا إلى الجزائر... أمر الحكومة. الهبوط بالجزائر...نكرر: أمر نفذ، أمر نفذ...".

وفي الساعة السابعة والنصف مساء يطلب طاقم الطائرة للمرة الثانية الإذن بالعودة إلى المغرب، وفي الساعة الثامنة قررت السلطات الفرنسية بالجزائر العاصمة إنهاء العملية قائلة: "الجواب سلبي بالنسبة للمغرب. تعالوا وحطوا بالجزائر. إنكم محميون من قبل الوزير".

قائد الطائرة: "وما مصير عائلاتنا بالمغرب؟".

الجزائر: " لا تقلقوا بشأنهم".(30)

قائد الطائرة: "وإذا كان المتمردون مسلحون".

الجزائر: "تأكدوا من ذلك".

تظاهرت مضيفة الطائرة بجمع الأوراق في جيوب المقاعد، فشد أحمد بن بلة بذراع المضيفة الشابة قائلا لها: "لا تقلقي بشأننا آنستي"(31)، فشاهدت المضيفة أسلحة بجانب بن بلة مثل رشاش وبنادق سوداء. ولما علم طاقم الطائرة بأن الجزائريين مسلحين، استجوب قائدهم الدار البيضاء قائلا: "ماذا يفعلون؟ إذا علموا بأننا وصلنا فوق سماء الجزائر (العاصمة)، وصوّبوا أسلحتهم في ظهر الطيار".

الجزائر ترد: "ستطير قوات المطاردة، وحينئذ ستضطرون إلى الهبوط"، وعند حلول الظلام بمنطقة البحر المتوسط، مرت طائرة الخطوط الجوية الفرنسية مرسلة رسالة إلى طائرة DC3: "تمانينا يا شباب، لا ترددوا ! هيا ! نحن معكم بقلوبنا".

لاحظت رادارات الجزائر أن الطائرة DC3 تحاول العودة إلى المغرب، فأقلعت طائرتان مطاردتان: طائرة ميسترال وهران وطائرة B26، ولأجل التخويف- ما دامت طائرة DC3 تتلقى الرسائل- أصدرت هيئة الأركان الفرنسية بالجزائر أمرا بإطلاق النار على المحرك الطولي للطائرة في حالة هروبها."، وأخذ قائد هيئة الأركان والجنرال فراندون والجنرال ماركورت **Marecourt**- قائد المجال الجوي للإقليم الجزائري- يتابعون العملية ثانية بثانية.

وكان السادة شوصاد ودي كورنو، وبرانيت من الحكومة العامة بالجزائر، يتتبعون تطورات العملية بالمطار، حتى وصلت طائرة روبير لاكوست، فعرضوا عليه القصة، فقال لاكوست: "جيد، يا لها من قصة، إنها عملية مدوية كدوي الرعد"؛ فقال له أحدهم: "سيدي الوزير، يمكن إعطاء أوامر مضادة. " أجاب لاكوست: "فات الأوان. بن بلة يحلق في سماء الجزائر، وقوات كبيرة علمت بما يحدث في البلاد، وستسبب لنا هذه العملية مشاكل كثيرة، لكن زعماء التمرد يوجدون فوق التراب الفرنسي، ويُلزمني واجبي بتوقيفهم. وسأوقفهم"، وأمام هذه الإجابة سارع "دي كورنو" إلى برج المراقبة مؤكدا الأوامر الصادرة. وحينئذ قال لاكوست: "لا تقتلوهم". ثم كلم الجنرال "فراندون"

هاتفيا قائلا: "ما هو قانون الملاحة الجوية الذي يجبر طائرة على الهبوط؟"؛ فأجابه فراندون: "يمكن الأمر بفتح النار على المحرك الطولي"، رد لاكوست: "لا تطلقوا النار، يمكن أن يتسبب ذلك في حادث، ولا أخاطر بمقتل زعماء جبهة التحرير الوطني، وكذا الطاقم الفني والركاب. سيعتبرنا العالم برمته قتلة، وأننا أطحنا بالطائرة عمدا. وإذا لم تطع الطائرة DC3 الأوامر، التفوا حولها بطائراتنا المطاردة."

ولما كانت طائرة DC3 تحلق فوق سماء تنس بغرب الجزائر، وتستعد للهبوط بمطار الدار البيضاء (بالجزائر) بسرعة فائقة لتتمكن من الوصول في الموعد إلى تونس، أقلعت طائرتان مطاردتان فرنسيتين، وقد لاحظ أحد زعماء جبهة التحرير الوطني ميلان الطائرة غير العادي يمينا وشمالا؛ فقامت المضيفة بإسدال الستائر، وأخذت تلعب الورق مع الجزائريين.

اتصلت طائرة DC3 بالدار البيضاء: "نحن نطير فوق سماء شرشال وكل شيء على ما يرام، ولا يلاحظون شيئا، ومجموعة من الإجراءات الأمنية تم اتخاذها على الأرض"؛ فردت الجزائر: "الكل مستعد".

وفي الساعة التاسع وعشرة دقائق مساء طلب قائد الطائرة من ركابه رجالا ونساء بربط أحزمة الأمان، وأعلمهم أنّ موعد الوصول إلى تونس قد اقترب، ولما بدأت الطائرة تفقد ارتفاعها، أخذ الجزائريون يلقون نظرة من خلال النوافذ، ولاحظوا في المطار انتشارا واسعا للعساكر فقال أحدهم: "لقد نظموا لنا استقبالا حارًا".

وفي الساعة التاسعة وعشرين دقيقة مساء حطت الطائرة، وتبعتها سيارات عسكرية من نوع "جيب **Jeep**" حاملة للرشاشات. وحينها لاحظ بن بلة الجنود الفرنسيين، ولما توقفت الطائرة، أُطفئت الأضواء الداخلية، وسُلطت الأضواء الساطعة القوية على جسم الطائرة، وأغلق الطاقم الفني باب الاتصال الداخلي، وقفز أعضاؤه من مخرج النجدة.

خرج اللواء "أندرس **Andres**"- قائد الأمن الجوي- مع رجاله المسلحين بالرشاشات قائلا: "استسلموا"؛ فانتاب زعماء جبهة التحرير الوطني الغضب واليأس، وصاروا محاطين بالعساكر، وبدأ مفتشو مديرية الحراسة الاقليمية **D.S.T**(32) ينادون المساجين: "بن بلة". فأجاب أحمد بن بلة بنباهة عسكرية: "حاضر"، ثم استطرد: "إنه عمل جيد، لم أكن أتوقع أن الفرنسيين قادرين على هذا"، وكان في المطار الجنرال " لوريو دوفيس **laurillot Devise** " محاطا بأربع جنرالات آخرين، وهكذا فقد استقبل خمسة جنرالات فرنسيين خمسة رجال جزائريين من الفلاقة، أما طاقم الطائرة فقد اقتيد أفراده

إلى مترل (فيلا الزيتون)؛ فوجدوا نساءهم وأطفالهم الذين أجلتهم السلطات المغربية على متن طائرة، وعندها انتهت عملية اختطاف طائرة DC3.[33]

الخاتمة: على ضوء ما تقدم يمكن التنبيه إلى أن القرصنة الجوية الفرنسية لطائرة تُقل قادة الثورة الخمسة تُعتبر العملية الأولى من نوعها في التاريخ، وتمثل اعتداء صارخا على قانون الملاحة الدولية، وأن السلطات العسكرية الفرنسية كانت مستعدة لفتح النار على المحرك الطولي للطائرة لو تعنت الطاقم الفني الفرنسي الذي حاول إنقاذ ركاب الطائرة من القرصنة لكن سيطرة فرنسا الاستعمارية على المجال الجوي، وحيازها لطائرات مقاتلة ومطاردة، واستمرار ممارستها لنفوذها على تونس والمغرب الأقصى المستقلين في السنة نفسها (1956م)، ونعتهم بالخيانة الوطنية إذا لم يترلوا بالطائرة بالجزائر وغموض مصير عائلاقم بالمغرب الأقصى؛ كل هذه العوامل جعلت الطيارين الفرنسيين يستسلمون لرغبات الجيش الفرنسي بالجزائر.

وبالنسبة لعلاقة باريس بالجزائر في قضية الاختطاف فإننا نشتم رائحة التواطؤ بين السلطات العسكرية بفرنسا والسلطات العسكرية بالجزائر، وأن السلطات السياسية لم تكن تتحكم في مقاليد الحكم، وأن رهانات الجيش الفرنسي قد تجاوزت المسؤولين السياسيين، لذا قدم الوزير الفرنسي للشؤون المغربية والتونسية ألان سافاري **Alain Savary** استقالته من الحكومة، واستنكر رئيس الحكومة غي مولي عملية الاختطاف قائلا: "هذا غير ممكن، إذا كان الأمر كذلك، فسيكون حماقة جنونية."[34] خصوصا وأنه كان يخشى أن يدفع الحدث إلى هيجان الشعوب العربية. وبشأن مفاوضاها مع جبهة التحرير الوطني من أجل إيجاد حل سياسي وسلمي للقضية الجزائرية، فإنه يعتبر من مراوغات فرنسا الاستعمارية إذ حاولت الحصول على هدنة مع الثورة الجزائرية للتفرغ لتحضيراها العسكرية ضد مصر في إطار العدوان الثلاثي، ودعوها لمؤتمر تونس كان بهدف قطع رأس الثورة، وأن الثوار الجزائريون لن يلبثوا أن يضعوا السلاح، وقد أصاب أحمد توفيق المدني عندما توقع مسبقا فشل مؤتمر تونس، لأن فرنسا الواثقة بقدراها العسكرية دعت إليه والثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى، وتحتاج إلى السلاح والانتشار الكامل على الأرض الجزائرية، وهذه الدعوة تكون منطقيا بعد تصاعد حدة الحرب بين الطرفين، أضف إلى ذلك أن فرنسا تدعو إلى التفاوض في وقت تنادي أكثر من ذي قبل بوجوب بقاء الجزائر فرنسية[35].

كما لاحظنا أن السلطات المصرية كانت تعلم بالنوايا الفرنسية من وراء ندوة تونس خصوصا وأن دولة فرنسا الاستعمارية تجتهد دوليا لتنفيذ العدوان الثلاثي ضدها؛ فقد جاء في مذكرات أحمد

توفيق المدني وشهادات أحمد بن بلة أن الرئيس جمال عبد الناصر ومدير استخباراته فتحي الديب قد نصحوا أحمد بن بلة بأن لا يشارك مع رفاقه في ندوة تونس الذي أرادته فرنسا مكرا وخداعا، وورطت تونس والمغرب حيث لم تستطع قيادة الثورة رفض طلب الدولتين الشقيقتين، وبخاصة المغرب الذي يقدم دعما لجبهة وهران[36].

الهوامش:

(1) الزعماء الخمسة الذي أختطفوا هم: أحمد بن بلة، محمد خيضر، محمد بوضياف، حسين آيت أحمد، ومصطفى الأشرف، ومن خلال رواية بن بلة، يعد الأشرف مصطفى صحفيا جزائريا، وليس زعيما سياسيا للثورة الجزائرية، وبالتالي هناك أربع زعماء سياسيين كانوا على متن الطائرة وبصحبتهم صحفي جزائري.

(2) أحمد منصور. الرئيس بن بيلا..يكشف عن أسرار ثورة الجزائر. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م. ص 141.

(3) المصدر نفسه، ص 142.

(4) عبد الحميد زوزو. محطات في تاريخ الجزائر– دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة– دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004. ص 497.

(5) مثل جبهة التحرير الوطني في هذه المفاوضات كلا من محمد يزيد ومحمد خيضر، وتوصل الطرفان الجزائري– الفرنسي إلى صيغة أقرب إلى الاستقلال شريطة إجراء استفتاء شعبي مثلما حدث سنة 1962م، وبالتالي لو كانت نية فرنسا صادقة لوفرت على نفسها وعلى الشعب الجزائري ست سنوات من الحرب.

(6) عبد الحميد، زوزو. المرجع السابق، ص 497.

(7) نشير هنا إلى أن العلاقة بين أحمد بن بلة والملك محمد الخامس كانت جيدة ورائعة.

(8) ذكر أحمد بن بلة أن علاقته بالحبيب بورقيبة لم تكن على ما يرام لأن رؤيتهما الفكرية مختلفة.

(9) أحمد، منصور. المصدر السابق، ص 144.

(10) محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830–1962، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2008م. ص 341.

(11) Juan, Raymond Tournaux. Secrets d'Etat. Librairie Plon, Paris, 1960.p 130.

(12) محمد، أمطاط. المرجع السابق، ص 40.

(13) المرجع نفسه، ص 341. واستثنى الكاتب الهوية المستعارة لمصطفى الأشرف.

(14) وهذا الكلام يستهدف الطائرة الملكية المغربية لما كان مقررا أن يسافر الجميع في طائرة واحدة.

(15) إن التعجب والتساؤل الذي أبداه الأمين العام يطرح احتمالين: إما أن خبر مرور طائرة بن بلة ورفاقه على الجزائر كان مفاجئا لدى الفرنسيين بالجزائر. أو أنهم خططوا لذلك مع باريس لكنهم لم يتوقعوا أن تخطيطهم سيتحقق، لأن زعماء الثورة كانوا في مدريد وكان بإمكانهم السفر من هناك إلى تونس على متن طائرة أجنبية وطاقم غير فرنسي، ولو كان السفر من مدريد كما ذكرنا هل تخطط فرنسا لقرصنة جوية؟

(16) تفيد الكتابات المغربية أن طائرة الملك المغربي أقلعت يوم 21 أكتوبر 1956 على الساعة 17، والكتابات الفرنسية تحدد الإقلاع يوم 22 أكتوبر على الساعة 10 و45د، فهل يمكن اعتبار ذلك تأخير سببته استعدادات الفرنسيين بالجزائر لاختطاف الطائرة من تشنجات داخل القصر الملكي المغربي؟ وحتى أحمد بن بلة لا يتذكر توقيت إقلاع طائرة الملك، وكل ما أكده أنها أقلعت قبل طائرة القادة الجزائريين.

(17) يظهر أن الاستعمار الفرنسي لا يميز بين الرجال والأوغاد، أو أنه تعمد قلب المعادلة بما يخدم مصالحه.

(18) تأسست هذه المصلحة الأمنية المسماة : Le Service de Documentation Extérieure et de Contre Espionnage في ديسمبر 1945.

(19) يقع هذا الإقليم الغابي بجنوب غرب فرنسا.

(20) ونعني بذلك التحضير للعدوان الثلاثي على مصر الذي كان في 26 أكتوبر 1956، بمشاركة فرنسا وانجلترا واسرائيل.

(21) وهذا يدل على أن السلطات العسكرية بباريس متورطة في عملية اختطاف الطائرة.

(22) يتضح جليا أن اختطاف الطائرة تم بتنسيق القوات الفرنسية في باريس والجزائر والمغرب الأقصى الحديث العهد بالاستقلال.

(23) Z.D.A : وتعني Zone de Défense Aérienne

(24) طائرة DC3 هي طائرة مستحدثة قبل الحرب العالمية الثانية ومن خصوصياتها، التنقل ليلا.

(25) ويعني ذلك أن الملك محمد الخامس قد وصلته أخبار عزم سلطات الاحتلال الفرنسي لاختطاف الطائرة المقلة للزعماء الخمسة وهو ما جعل رئيس ديوانه يخصص طائرة أخرى للقادة الجزائريين ويسافرون لوحدهم.

(26) دائما ينعت الاستعمار الفرنسي ثوار الجزائر بالمتمردين عوض المقاومين، وكأنهم نسوا مقاومتهم للجيش النازي الألماني لما احتل باريس سنة 1940.

(27) نستغرب عندما نجد أن أحمد بن بلة لم يشر في شهاداته إلى هبوط الطائرة بمطار مايوركا وإقلاعها من جديد، كما ذكر أيضا أن للطائرة مسار رحلة واحد ووحيد من الرباط إلى تونس. فهل ألهتهم مشاغل ندوة تونس وجعلتهم لا يشعرون بشيء، أم أن الطيارين الفرنسيين، كذبوا عليهم؟

(28) الفلاقة مصطلح استعماري أُطلق على المجاهدين الجزائريين ويعني الخارجون عن القانون الفرنسي.

(29) وهنا نلاحظ أحد أشكال الهيمنة الفرنسية على المجال الجوي للمغرب الأقصى المستقل سنة 1956م.

(30) قامت السلطات المغربية بترحيل عائلات الطيارين الفرنسيين إلى الجزائر تحسبا لأعمال عنف في المغرب وهو ما حدث فعلا بفاس ومكناس ومراكش ضد الفرنسيين.

(31) شعر أحمد بن بلة بأمور غير طبيعية، وما زاده قلقا تحذيرات عبد الناصر وفتحي الديب لما كان في القاهرة متوجها إلى مدريد ثم إلى تونس. وحول تحذيرات مصر يمكن مراجعة:

فتحي الديب. عبد الناصر وثورة الجزائر. دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1984. ص 266.

(32) D.S.T. : Direction de la Surveillance du Territoire وهي مصلحة المعلومات بوزارة الداخلية، ومقرها المديرية العامة للشرطة الفرنسية، وتاريخيا مكلفة بالجوسسة المضادة.

(33) J.R Tournaux. Op.Cit., PP.127-135.

(34) محمد، أمطاط. المرجع السابق، ص 341.

(35) أحمد توفيق، المدني. حياة كفاح –مذكرات– دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، الجزء الثالث(مع ركب الثورة التحريرية)، ص 308.

(36) المصدر نفسه، ص ص 310، 312.

مساهمة الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية في الثورة التحريرية 1954-1962

أ.ة. علوان أمال *

حضرت الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية[1] جيلا جديدا، على دراية بالمسالك من سهول وجبال، مُدرّباً على العمل والنظام، مُسلحا بالقيم الوطنية بعقلية جزائرية ترفض الانقياد وتتطلع نحو الحرية فأثبت الكشّاف الشاب وجوده، وقام بدوره على أحسن وجه كفدائي ومسبل ومجاهد[2] في ساحة المعركة، ونحن ضمن هذا الحيز نصبو إلى تسليط الضوء ولو باقتضاب على جانب من مساهمة هذا التنظيم الشبّابي في مقاومة الاستعمار الفرنسي الغاشم، وإبراز جزء من إسهاماته في عملية التحرر داخل المدن وفي ساحات المعركة بالجبال.

دعت جبهة التحرير الوطني كافة التشكيلات السياسية إلى الإعلان عن حل نفسها رسمياً، ودفع مناضليها إلى الالتحاق فرادى بصفوف الجبهة، وأكدت من خلال النداء الأول وفي مناسبات عديدة، أن التفاوض لا يكون إلا معها بصفتها قائداً للكفاح المسلح وممثلاً وحيداً للشعب الجزائري.

إذا كانت جمعية العلماء المسلمين والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أعلنا عن حل نفسيهما وانضمام قيادتيهما فرادى إلى جبهة التحرير الوطني في شهر أفريل 1956[3]، فالشأن قد يكون نفسه لحركة "فتيان الكشافة الإسلامية"[4] التي اجتمع قادتها في ديسمبر 1955م بسيدي فرج (العاصمة)، بحضور كل من المحافظ العام "تيجيني الطاهر"، وممثلي أغلب أفواج العمالات الثلاث وهم[5]: السيد بوكابوية (الجزائر)، السيد حطاب (المدنية)، السيد الكشاي (حسين داي)، السيد سي علي (البليدة ومليانة)، السيد دراسي (سطيف)، السيد جيجلي (الأغواط)، السيد بن مامون نور الدين (برج منايل)، السيد بن محمود (بسكرة وتبسة وقسنطينة)، السيد بوقندورة (مسيلة وسوق أهراس وتيزي وزو)، خروبي عصمان وسباغ عبد الرحمان (وهران)، السيدة تيجيني وتمثل الفرع النسوي.

خلال هذا التجمع ناقش المجتمعون عدة قضايا، حيث أعرب السيد بن محمود[6] ممثل كشافة قسنطينة عن قلقه لما يجري في الجزائر من أحداث[7]، وهو ما ركز عليه السيد دومي لخضر من وهران

* - أستاذة محاضرة ب في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة الجيلالي ليابس- سيدي بلعباس.

في تدخله، حيث قال: "إنّ العديد من الجزائريين الأبرياء يسقطون برصاص المستعمر الفرنسي، وإنّ بقاء التنظيم الكشفي خارج الأحداث الراهنة، سيفقدها ثقة الشعب التي لطالما حظيت بها"[8]، أما السيد صادق الفول فقد تساءل عما إذا كانت اللجنة المسيرة قد طلبت المساعدة المالية من الحكومة العامة، وأردف معقبا: "أن لا أحد يرغب في هذه المساعدة المالية، لأنها ستكون سببا في ضياع ثقة الشعب بالحركة"، هذا الطرح دعمه السيد معلو من قسنطينة، في حين اعتبر السيد الطاهر التجيني أنّ المساعدة المالية من الحكومة الفرنسية "ليست بصدقة أو حسنة تطلبها الحركة، وإنما هي حق، لأن المال هو حق الشعب"[9]، هذا المقترح تبناه المشاركون بالإجماع ما عدا أربعة أصوات: ثلاثة من قسنطينة، وخروبي عصمان من وهران.

ختم هذا التجمع لفتيان الكشافة بالتوصية بإنشاء مخيم مدرسي دائم بعمالة العاصمة، وتقرير حول الوضعية المالية للحركة، كما عينت اللجنة المسيرة للحركة[10].

نلاحظ أنّ تاريخ هذا الاجتماع هو ديسمبر **1955**، وبالرغم من أنّ الاجتماع تمخض عن لجنة مسيرة للحركة، بيد أنّ هناك عديد الشخصيات كانت مهتمة بما يجري من أحداث داخل الوطن، لذلك قد يكون أخر اجتماع ضم أعضاء الحركة قبل انضمام قادتها بصفة فردية في شبكات المقاومة لجبهة وجيش التحرير الوطنيين، على غرار أغلبية مسؤولي المنظمات الوطنية، فوضع كل العتاد النافع (الآلات الراقنة، المالية، المقرات) في خدمة جبهة التحرير الوطني[11]، بحيث أصبح قائدها الفيدرالي القشيعي محمد أحد مسؤولي جبهة التحرير الوطني في تيزي وزو، إذ أسندت له مهمة تجنيد الكشافة،كما أعطى لجبهة التحرير الوطني (الولاية الثالثة) صندوق أموال فتيان الكشافة الإسلامية (BSMA) وعتادها، وأضحى قائدها العام الطاهر التيجيني عضوا في شبكة الإعلام[12].

في حين طلب بن مهيدي من عمر لاغا[13]– القائد العام لحركة الكشافة الإسلامية الجزائرية– غداة الفاتح نوفمبر **1954**م مواصلة النشاط الكشفي لفوج القطب، حتى يستخدم مقره لانعقاد الاجتماعات السرية لجبهة التحرير الوطني[14] مما عرضه للتعذيب والاغتيال سنة **1957**م.

1– عينات من مساهمة الكشفيين في المعارك بالجبال: لم يكن عدد المجاهدين يتجاوز الأربعمائة ليلة أول نوفمبر **1954**م وبأسلحة صيد بسيطة ومحدودة، لكن رجال جيش التحرير الوطني استطاعوا في الأشهر الأولى من الثورة أن يجمعوا حوالي ألف قطعة سلاح[15]، وقد عقدت آمالاً كبيرة على نشاطات المندوبية في الخارج[16] التي كانت مكونة من محمد خيضر رئيساً والكشفيين السابقين أحمد بن بلة وأيت أحمد، ومجهودات السيد محمد بوضياف الذي كلف بتعبئة الجزائريين في فرنسا حيث سهولة

الاتصال بباعة الأسلحة ومهربيها. غير أن مندوبية الخارج لم تحصل على شيء، فالدول العربية الشقيقة لم تكن تُدرك بعد ما أقدم عليه الشعب الجزائري، أما السيد بوضياف، فإن مهمته في فرنسا قد تعقدت بسبب سيطرة مصالي شبه الكلية على هياكل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، لكن قيادات المناطق استطاعت تجاوز هذه المعضلة مؤقتا برفعها شعار: "سلاحنا نفتكه من عدونا"، وهو شعار أتى بنتائج إيجابية ومعتبرة"[17].

كل هذه الصعوبات والمشاكل غير المتوقعة لم تمنع المجاهدين من خوض كثير من المعارك الناجحة ضد القوات الاستعمارية المسلحة وفي الكثير من الأحيان قادها أو شارك فيها القادة الكشفيين وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر:

في المنطقة الأولى: بدأت الاستعدادات العسكرية للثورة منذ أوائل ربيع سنة **1954**م، حيث كان القائد مصطفى بن بولعيد يقوم بالاتصالات مع أعضاء المنظمة الثورية في بقية أنحاء الجزائر، يعاونه في جهوده بشير شيحاني[18]، في حين كان الكشفي باجي مختار من أبرز الشخصيات التي عملت على توعية ودعوة المواطنين إلى ضرورة حمل السلاح في وجه المستعمر الفرنسي، وتجنيد الشباب المناضلين المعروفين بماضيهم المشرف ضمن خلايا عسكرية، من خلال سلسلة من الاجتماعات السرية كان ختامها الاجتماع الذي عقده في زفاف لمبارك يحي، وذلك ليلة **31** أكتوبر **1954**م، ودعا خلاله قادة الكشافة إلى الالتحاق بالكفاح المسلح[19]، وتم إغلاق المقر الكشفي في يوم **06** نوفمبر **1954**م.

عشية انطلاق الثورة، اجتمع قادة النواحي لمنطقة الأوراس في قرية لعزين، وبعد أداء اليمين على كتمان السر، كشف عن تاريخ اندلاع الثورة، وتمت تلاوة بيان أول نوفمبر باللغتين العربية والفرنسية، وتم في نفس الوقت ضبط قائمة المواقع المستهدفة بهجومات ليلة الفاتح نوفمبر، على مستوى المنطقة المقدرة بـــ ثلاثين هدفا(**30**)، مع تعيين الأفواج[20] وتحديد مهامها، انطلقت الخلايا الثورية الأولى نحو أهدافها المحددة على جهات مختلفة، فاتجه ثمانون مجاهدا (**80**) منهم إلى فم الطوب التي سيطروا عليها لمدة ستة أيام، وغنموا منها **09** بنادق حربية[21]، وذهب خمسون (**50**) إلى ناحية أريس، واستقر سبعون مجاهدا (**70**) في غابة كامل، أما الشهيد الكشفي باجي مختار فقام بقيادة هجوم على منجم الناظور بولاية قالمة، وتحويل القطار الرابط بين الجزائر وتونس عن سكته[22] قبل أن يستشهد رفقة مجموعة من المجاهدين في ساحة الشرف في غابة بني صالح بسوق أهراس يوم **19** نوفمبر **1954**م.

في المنطقة الخامسة: وهران وضواحيها قام قائد المنطقة الكشاف العربي بن مهيدي بتعيين الكشاف أحمد زبانة[23] مسؤولا على ناحية زهانة، وكلفه بالإعداد للثورة بما يلزمها من ذخيرة ورجال،

وتجسيدا للأوامر التي أعطيت له كان اجتماع زهانة بعبد المالك رمضان، وقد حدّدت مهام زبانة بعد هذا الاجتماع في هيكلة الأفواج وتدريبها، واختيار العناصر المناسبة وتحميلها مسؤولية قيادة الرجال، وزيارة المواقع الإستراتيجية لاختيار الأماكن التي يمكن جعلها مراكز للثورة، فقد تمكن من تأطير فوج فدائي مُشكّل من ثلاثة عشرة عضوًا في سان لوسيان «SAINT LUCIEN» (زهانة حاليا)، وفي سيق كون فوجا من عشرة عناصر يوم 30 أكتوبر.

ومن العمليات الناجحة التي قادها زبانة عملية لامادو في 04 نوفمبر 1954م، ومعركة غار بوجليد في 08 نوفمبر 1954م التي وقع فيها أسيرا.

الناحية الثانية من هذه المنطقة وهي عين تموشنت، والممتدة من عين تموشنت إلى غاية نمور (الغزوات حاليا) كانت هي الأخرى تحت قيادة الكشفي فرطاس محمد[24]، وكان ضمن أفواجها الفدائية فوج ريو صالادو (المالح حاليا)، وفوج دوّار المساعدة التابع لبلدية إيرائيل (حاسي الغلة حاليا)، وقادة أفوج ريو صالادو وحمام بوحجر ولورمال على التوالي كل من برحو قادة، والكشاف سترة عبد القادر وحدوب بوحجر.

عانت المنطقة الخامسة حين انطلاق الثورة من مشكل أساسي هو قلة الأسلحة التي لم تصلها إلاّ في أكتوبر 1955م[25]، لكن هذا المشكل لم يكن ليؤخرها عن ركب الثورة وموعدها، "فمن أصل سبعين عملية فدائية عبر كامل أنحاء الجزائر، أربعة عشر هجوما جرى بالولاية الخامسة"[26].

في المنطقة الثانية: انتفاضة الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م: يكاد يجمع المؤرخون أن الكشاف الشهيد زيغود يوسف[27] هو صاحب فكرة الانتفاضة، وعندما تبلورت في ذهنه نقلها إلى مساعديه الأقربين وفي مقدمتهم لخضر بن طوبال، فقد خاطب رفقاءه عشية بدء الهجوم قائلا: "يجب علينا تحمل الأعباء مع الأوراس، لأنه إذا بقيت العمليات مكثفة هناك وبقي الأوراس وحده فسوف تضيع الثورة، ويقضي عليها العدو"[28].

في اجتماع بقيادة زيغود يوسف يوم 23 جويلية 1955م، تمّ تحديد أهداف الهجوم وتاريخ انطلاقته يوم 20 أوت 1955م على الساعة منتصف النهار (12:00)، وهو يصادف بداية عطلة الأوروبيين، وموعد السوق الأسبوعي لمدينة سكيكدة.

امتدت هجومات الشمال القسنطيني ما بين 20 إلى 27 أوت 1955م، قام بها جيش التحرير الوطني بمساندة الشعب، وقيادة الكشاف زيغود يوسف، وشملت عدة عمليات ناجحة استهدفت الثكنات العسكرية ومراكز الشرطة والدرك والمعمرين والخونة المتعاونين مع العدو، إضافة إلى المصالح

الاقتصادية الفرنسية وتلك التابعة للمعمرين.

حققت الهجومات معظم أهدافها، وبرهنت على مدى قدرة صمود الثورة الجزائرية ومجابهتها للسياسة الاستعمارية، بحيث كانت مركزة ومنظمة في العديد من مدن وقرى الولاية الثانية كقسنطينة وسكيكدة والخروب وميلة وجيجل...، إلى جانب إحرازها لانتصار سياسي خارجي تمثل في تسجيل المسألة الجزائرية ضمن جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها العاشرة المنعقدة عام **1955**م، بدعم ومساندة أربعة عشر(**14**) دولة آفروآسياوية.

ضمن هذا الإطار صرح جاك سوستيل[29] "أن ما وقع في نيويورك أثمن من قافلة أسلحة توجه إلى جبهة التحرير الوطني" [30]، وفي المقابل كان رد الفعل الفرنسي على هذه الهجومات عنيفا ومتطرفا؛ فقد نظم المعمّرون أنفسهم في مليشيات، وقاموا بقتل وإعدام جماعي طال **1300** جزائري.

في المنطقة الرابعة: كلّف الكشفي سويداني بوجمعة[31] مطلع عام **1954**م بإعداد الأفواج الأولى للعمل الثوري من طرف الشهيد الكشفي ديدوش مراد؛ فجنّد حوالي **200** مناضل و**18** قائد فوج، وألّف فريقا مختصا في صنع القنابل والعبوات النّاسفة في كل مناطق بوجمعة صهريج ودوار حلوية وفروحة وأولاد يعيش. وفي أواخر أكتوبر **1954**م أجرى سويداني بوجمعة اتصالات مع مجندين جزائريين في الجيش الفرنسي وهما السّعيد خودي بثكنة بيزو في البليدة وعبد القادر بن طبال من جنود الاحتياط في ثكنة بوفاريك، وتعرّف عن طريقهما على الوضع العسكري بالثكنتين استعدادا لليلة اندلاع الثورة[32].

وفي ليلة أول نوفمبر **1954**م قاد الكشفي سويداني بوجمعة هجومه على ثكنة بوفاريك، وأخرج منها عددا من الجنود الجزائريين الذين تطوّعوا للعمل في صفوف الثورة، واستمرّ في نشاطه الجهادي ضد مقرات جيش الاستعمار وطغاة المعمرين إلى غاية استشهاده في ساحة الشرف[33]يوم **17** أبريل **1956**م.

خاض الشهيد الكشفي أحمد بوقرة[34] هجومات عديدة ضد قوات المستعمر في المنطقة الرابعة، وتقلّد مهمات مختلفة حيث رقيّ إلى رتبة مساعد سياسي سنة **1955**م، ثم كلف بمهمة الاتصال بين العاصمة وما يحيط بها، وشارك في العديد من المعارك التي كانت الولاية الرابعة ساحة لها، وذلك في كل من بوزقزة وساكامودي ووادي الفضة وغيرها من المناطق، واعترافا من المسؤولين بنشاطه رقّي إلى رتبة رائد، وهذا ما أهله لأن يحضر مؤتمر الصومام في **20** أوت **1956**م، حيث شرّفه المؤتمر ليكون قائدا سياسيا وعضوا فاعلا ضمن مجلس الولاية الرابعة التاريخية[35]، وفي عام **1958**م عين عقيدا قائدا للولاية الرابعة[36]؛ فكان بالمرصاد للمخططات الاستعمارية التي كانت ترمي إلى تضييق الخناق على جنود جيش التحرير الوطني، أبرزها حملات التمشيط الواسعة عبر جبال الحضنة، حيث اشتبك العقيد وأصحابه

بقوات العدو في معركة غير متكافئة، فأستشهد في ميدان الشرف قرب المدية في معركة أولاد بوعشرة بتاريخ 05 ماي 1959م[37].

في الجبال دائما نجد تنوعا في نشاط عناصر الكشافة المجاهدين، فالقطاع الصحي الذي اهتمت به جبهة التحرير الوطني، وأخذ نصيبا وافرا من مجهوداها باعتباره قطاعا حيويا يتوقف عليه العمل المسلح، باعتبار أن توفير العلاج للجرحى، ومقاومة الأمراض فيه حفاظ على المورد البشري الذي هو القوة المحركة للثورة، لأجل ذلك ظهرت المصالح الصحية المتنقلة داخل الوحدات المتنقلة لجبهة التحرير الوطني داخل الجزائر، وأخرى قارة في القواعد الخلفية في كل من المغرب الأقصى وتونس.

ضمن هذا الإطار ساهم عديد الأطباء والممرضين ممن سبق ومارسوا الحياة الكشفية، ومن هؤلاء نذكر مسعودة باج المدعوة مريم[38] التي انضمت إلى جيش التحرير الوطني باتجاه جبل تمزقيدة بالأطلس التلي البليدي، وبحكم تكوينها في سلك التمريض عينت بالفرع الصحي الذي أنشئ لأول مرة بالناحية تحت إشراف المجاهد حسن يوسف الخطيب، فكانت تتنقل بين مختلف المراكز الصحية لجيش التحرير، وفي نهاية 1957م قررت قيادة المنطقة الرابعة إرسال بعض المجاهدين والمجاهدات إلى الخارج لمواصلة تكوينهم؛ فكانت مريم ضمن الفوج المتجه إلى المملكة الغربية، بيد أنّهم اشتبكوا في طريقهم مع فرقة من الجيش الفرنسي فاستشهدت سنة 1960م.

كما نذكر الطبيب الكشفي محمد بن عيسى أمير[39] الذي قام بتكوين 15 مسعفا في باريس ما بين سنتي 1955–1956م في غرفته أثناء دراسته الجامعية، قبل أن يلتحق بصفوف الثورة سنة 1957م بالقاعدة الغربية، إذ أصبح طبيب الجبهة والجيش من شهر فيفري 1957 إلى جوان 1958م، ليترقى إلى منصب طبيب جيش التحرير الوطني إلى غاية 1959م، ومن ثم الإشراف على المنطقة الشمالية للمغرب الأقصى[40]، وقد أسس في أوت 1959م مدرسة لتكوين الممرضين في قاعدة زغنغن[41].

ومن بين الأطباء والصيادلة الذين كانوا قادة بفوج الأمل الكشفي لسيدي بلعباس، وفضلوا ترك فرنسا والالتحاق بجيش التحرير الوطني، واستقروا بالمغرب الأقصى نذكر جليل حسين، طالب عبد الرحمان، علال مصطفى[42].

2– عينات من مساهمة الكشفيين داخل المدن (معركة الجزائر): كانت جبهة وجيش التحرير الوطني تنشط في كل مكان من التراب الجزائري لكن في أشكال مختلفة، فقد ظل تنظيمها سريا في المدن والقرى ذات الكثافة الاستعمارية، وكذا في المناطق التي يغطيها الجيش الفرنسي بشبكته الإدارية التي تدعى، "الفروع الإدارية المتخصصة"(S.A.S)[43].

بدأ العمل الفدائي المسلح بالعاصمة خلال شهر أكتوبر 1955م ضد المخبرين والخائنين، مع العلم أن القائد الأعلى للفدائيين آنذاك هو عمر أوعمران بصفته قائد منطقة العاصمة خلفا لرابح بيطاط الذي اعتقل يوم 1955/02/25م(44)، لقد تم إنشاء فرقتين مسلحتين بالعاصمة، تتحرك إحداهما داخل حي بلكور، وتكون تحت إشراف الكشاف الشهيد ذبيح الشريف(45)، وتتحرك الثانية في حي القصبة وتكون تحت إشراف السيد ياسف سعدي.

بيد أنّ التنظيم العسكري في العاصمة ظل قليل النشاط إلى غاية شهر ماي 1956م، لأنه كان يمثل قيادة أركان وقاعدة خلفية لولايتي وسط البلاد وهما الولاية الثالثة (القبائل) والولاية الرابعة (ناحية الجزائر)(46)، لكن سرعان ما ضاعف الفدائيون نشاطهم العسكري بمدينة الجزائر عقب قيام السلطات الاستعمارية بإعدام أحمد زهانة(زبانة) وفراج بواسطة المقصلة في سجن بربروس (سركاجي) في 19 جوان 1956م.

في نفس الوقت، أضفى مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م مزيدا من الأهمية على الجزائر العاصمة وضواحيها بعد تحويلها إلى منطقة مستقلة عن الولاية الرابعة، واتخذها مقرا للجنة التنسيق والتنفيذ، الجهاز القيادي لجبهة وجيش التحرير الوطني(47).

أصبحت العاصمة منطقة مستقلة، وأصبح الكشاف العربي بن مهيدي(48) يشرف على الفرع العسكري، وياسف سعدي يتولى قيادته(49)، وضمّ الفرع مجموعات مسلحة موزعة على كل أحياء مدينة الجزائر وكذا شبكة القنابل(50)، وكانت الكشفيتان حسيبة بن بوعلي(51) والزهرة ظريف(52) من بين الفتيات اللائي اختيرت لوضع القنابل في الأماكن العمومية من الأحياء الأوروبية لأنهن كنّ ذات ملاح شبيهة بملامح الأوروبيات.

بعد إلقاء القبض على العديد من المناضلين من بينهم العربي بن مهيدي يوم 23 فيفري 1957م، قام ياسف سعدي بتعيين الكشفية ظريف الزهرة التي كانت طالبة في الحقوق(53) كمساعدة دائمة له، وبعد أنّ ألقي القبض على ياسف سعدي في 23 سبتمبر 1957م(54)، خلفه علي لابوانت(55) بمساعدة الكشفية حسيبة بن بوعلي التي كانت طالبة بالثانوية، وبعد أن رفضوا الاستسلام استشهدوا في 08 أكتوبر من نفس السنة.

في 07 يناير 1957م تولى الجنرال "ماسو"Massu قائد الفرقة العاشرة للمظليين، ومساعده العقيد بيجار مهمة مواجهة الفدائيين، ومنذ ذلك التاريخ بدأت العمليات الكبرى ضد الأحياء الشعبية، وعلى رأسها حي القصبة، وقد استعمل العدو كل الوسائل الوحشية في هذه العمليات التي لخصت في

عبارة "معركة الجزائر" La Bataille d'Alger، والتي استمرت إلى غاية 08 أكتوبر 1957م.

دخل الجيش الفرنسي الحرب بطريقة عنيفة ومتطرّفة جدا ضد عمليات جبهة التحرير التي أشرف عليها العربي بن مهيدي ثم ياسف سعدي، ويمكننا القول أنّ المعركة التي استمرت من يناير إلى أكتوبر 1957م كانت حربا مروعة، بسبب التعذيب الجماعي الذي شهدته تلك الفترة، وكذا عمليات الاختطاف والإعدام خارج مظلة القضاء، فآلاف الجزائريين اختطفوا ولم يعثر لهم على أثر، بيد أنّ معركة الجزائر التي نقلت الاشتباكات إلى قلب العاصمة[56] أمام سمع ونظر الصحافة العالمية والبعثات الدولية أعطت للثورة الجزائرية صدى عالميا؛ فقد جاء في رسالة بعثها السفير الفرنسي بواشطن إلى وزير خارجيته بتاريخ 27 أفريل 1956م يبرز فيها الرأي العام الأمريكي حينها يقول[57]: "مسرحية بثلاثة فصول، هكذا يصف الرأي العام الأمريكي الأزمة في شمال إفريقيا، إنّ الأعين تتجه كلها إلى الجزائر فالصحافيين والمعلقين يدركون أنّ هناك وضعا خاصا في الجزائر، وهناك جهودا مبذولة في الو.م .أ من أجل توضيح المعطيات الحقيقية الخاصة بالقضية الجزائرية، إنّ معظم الجهات الإعلامية تنقل مسار العمليات الفرنسية في الجزائر، وتستنتج أنّ فرنسا مازالت بعيدة عن السيطرة على زمام الأمور."

تزامنت معركة الجزائر وقلة نشاط الأفواج الكشفية العاصمية، بخاصة وأنّ الفوج الكشفي النشيط- "القطب" للرواد المسلمين- قد اغتيل رئيسه عمر لاغا من قبل المظليين سنة 1957م، وتعرّض الكثير من أعضاء المكتب الوطني للكشافة الإسلامية الجزائرية لمضايقات الشرطة والاعتقال، فمثلا ألقي القبض على محفوظ قداش القائد عام للكشافة سنة 1956م[58]، وزّج به في سجن البرواقية، بيد أنةّ عقب الإفراج عنه- وعلى ضوء ما عاينه في مخيمات الاعتقال- نظم شبكة دعم اجتماعي للكشافة المسجونين بمعتقلات البرواقية والضاية بسيدي بلعباس، وسيدي الشحمي، وقام بجمع المال والملابس والمؤن المختلفة بين الرفقاء الكشفيين والأولياء لتوزع على المعتقلين.

جدّد قدّاش ذلك النوع من الحملات كلما دعت إليه الحاجة، وهو ما قام به بالخصوص من أعمال سنة 1957م بعد الانفجار الرهيب لشارع تيب (Thebes) بالقصبة، إذ نظم المساعدات والنجدات لصالح العائلات بالتنسيق مع خلية جبهة التحرير الوطني[59].

النشاط الكشفي لفوج "القطب" استؤنف بشكل جلي سنة 1960م، حين بادر قادة فوج "القطب" بالاتصال مع الحكومة الجزائرية المؤقتة ليكون فوجهم وسيلة لتغطية نشاطات جبهة وجيش التحرير[60].

ضمن هذا المقام يستطرد محفوظ قداش قائلا(61): "تلقت الكشافة الإسلامية الجزائرية أوامر مباشرة من مصلحة العلاقات التابعة للحكومة الجزائرية المؤقتة بمشاركة أفواج العاصمة في تنظيم مظاهرات ديسمبر 1960م بإلقاء الخطب والهتافات".

كان محفوظ قداش خلال مظاهرات 1960م هو من يرفع التقارير عن الحالة السياسية للحكومة الجزائرية المؤقتة(62). كما شارك محمد درويش(63) عضو في فوج "القطب" مع الكشافة الإسلامية بتوعية الناس وتعبئتهم لاستفتاء تقرير المصير في جويلية 1962م.

هذه عينة بسيطة عن دور هذا التنظيم الشباني ومساهمته في الثورة الجزائرية المظفرة داخل المدن وفي الجبال، وتبقى العديد من أعماله مجهولة أو يختلجها أصحابها في صدورهم فما أحوجنا لمعرفة أعمالهم وانجازاتهم التي كانت سببا في تحقيق السيادة الوطنية ونيل الاستقلال.

الهوامش:

1- عقب زيارات "محمد بوراس" المتكررة إلى مدينة مليانة ولقاءاته بصديقه صادق الفول والعناصر الكشفية، قرر "بوراس" إنشاء فوج في مدينة الجزائر (العاصمة) من 08 أعضاء يحمل اسم "الفلاح" بقلب القصبة وذلك عام1935م، ليكون هذا الفوج نقطة انطلاق للكشافة الإسلامية الجزائرية، وعلى غرار العاصمة شهدت العديد من مدن الوطن أفواجا كشفية جزائرية، ظلت تمارس نشاطا كشفيا مستقلا عن بعضها البعض، إلى أن كان تأسيس فيدرالية الكشافة الإسلامية في جويلية 1939 م بالجزائر(العاصمة).

2- الفدائي: المكلف بالغارات في المدن، المسبل: مناصر للجيش، المجاهد: جندي ومقاتل في جيش التحرير.

3- العربي الزبيري: "تاريخ الجزائر المعاصر (1954-1962)"، ج 2، منشورات إتحاد الكتاب العرب: 1999، ص:.09

4- أثناء الجمعية العامة للكشافة الإسلامية الجزائرية المنعقدة بسيدي فرج (27-29 مارس 1948م) بالجزائر (العاصمة) ظهر اتجاهين متعاكسين ضمن الجهاز القيادي للحركة هما:

الأول: رأى أصحابه لا دخل للكشافة في القضايا السياسية، إقتداءً بالرئيس الأول للحركة الكشفية "محمد بوراس" الذي قدّم استقالته يوم 16 مارس 1941 لتأكيد عدم ارتباط الحركة الكشفية بالسياسة، قصد تجنيبها العواقب السيئة لالتزامه السياسي، قادة هذا الاتجاه انسحبوا من الكشافة الإسلامية الجزائرية وأنشؤوا فتيان الكشافة الإسلامية الجزائرية (B.S.M.A) للحفاظ على استقلالية الحركة بعيدا عن أي حركة سياسية ومن أبرز قادته: الطاهر التجيني، أبو عمران الشيخ، صادق الفول، "محمد الغريسي" مرشدا عاما للحركة.

أما الاتجاه الثاني: فلم يرى مانعا من مساهمة الكشافة في النضال السياسي ضد الاستعمار، والانضمام إلى "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" لدرجة أن المرشد العام "بوزوزو" والرئيس"عمر لاغا" عيّنا بالمناسبة لتمثيل الحزب في الخارج بملتقى "السلام" بمواسون و"المهرجان العالمي للشباب" في براغ عام 1947م، حافظ على هذا الاتجاه على تسمية الحركة الكشافة الإسلامية الجزائرية (S.M.A) من أبرز قادته: عمر لاغا، محفوظ قداش، محمود بوزوزو مرشدا عاما للحركة. ينظر كل من:

- Ageron Charles Robert:"Histoire de l'Algérie contemporaine (1871-1954), Paris, P.U.F, 1979, T3, p592.
- Mahfoud Kaddache, Djillali Sari:"L'Algérie pérennité et résistances (1830-1962), O.P.U, 2002, p283.

5- A.W.O.Boite 6992, P.R.G, 132365-Note de Renseignements, Oran, Le 31 Déc 1955, p01.

6- بن محمود محمود: معلم بمدرسة الذكور بالمسيلة.

7- Idem.

8- Idem, p 02.

9- Idem.

10-Idem, p04.

11- أبوعمران الشيخ، محمد جيجلي: "الكشافة الإسلامية الجزائرية 1935- 1955 م"، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر:1999، ص .112

12- نفسه، ص .384

13- عمر لاغا: من مواليد 1908 بتازمالت (بجاية) انتقل إلى مدينة الجزائر وعمل أمين عام إداري ببلديتها، أسس فوج "الرواد المسلمين الجزائريين"...، بعد أحداث ماي 1945م انضم إلى حزب الشعب الجزائري المحضور رفقة زملائه محفوظ قداش، محمود بوزوزو، شارك في العديد من التظاهرات الدولية لعرض تطلعات الشباب الجزائري، قاد الوفد الكشفي الجزائري إلى سوريا "الزبداني" وقبل ذلك كان الوفد قد حط الرحال بمصر فاستقبله الرئيس المصري "جمال عبد الناصر" في أوت 1954م.....، بعد انطلاق الثورة التحريرية أوقف عمر لاغا في نوفمبر 1954م ووضع رهن السجن بـ "بربروسة" لمدة 3 أشهر ثم أفرج عنه ليعاد القبض عليه سنة 1957م ويعذب ويقتل من قبل المظليين وعلى رأسهم ماسي(Massu) دون أن يعرف قبره حتى الآن، ولذلك يعرف بالشهيد ذو القبر المجهول.

14 – محفوظ قداش:"عمر لاغا"، تأليف مجموعة من قدماء الكشافة الجزائرية: الكشافة مدرسة الجودة، دون ذكر دار النشر، الجزائر العاصمة، 2010، ص68.

15 – العربي الزبيري: المرجع السابق، ص13.

16- كان أعضاء المندوبية يعيشون كلهم في القاهرة بتفويض من قيادة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، فقد كانوا ملاحقين من طرف السلطات الاستعمارية بسبب انتسابهم إلى المنظمة الخاصة.

17- نفسه، ص 14.

18- بسام العسلي: "الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر"، ط 1، دار النفائس، بيروت: 1982، ص188.

19- يحي بوعزيز: "أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة"، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر: 2009، ص 112.

20- يتكون الفوج من 11 مجاهدا.

21- بسام العسلي: المرجع السابق، ص 190.

22- عاشور شرفي: "قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962"، ترجمة: عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر: 2007، ص 85.

23- أحمد زبانة: إسمه الحقيقي: أحمد زهانة ولد 1926، (بلدية زهانة بمعسكرحاليا)،كان للإنضمامه بالكشافة الإسلامية دور في نمو الروح الوطنية الصادقة في نفسه، انضم لصفوف الحركة الوطنية عام 1941، وتطوع أحمد لنشر مبادئ الحركة وتعميق أفكارها في الوسط الشبابي، وفضح ممارسات الاستعمار الفرنسي، اختارته المنظمة السرية ليكون عضوا من أعضائها، وبفضل خبرته تمكن من تكوين خلايا للمنظمة بالنواحي التي كان يشرف عليها،شارك في عملية البريد لوهران عام 1950م، قاد العمليات العسكرية الأولى للثورة، ووقع فيها أسيرا يوم 08 نوفمبر 1954، نفذ فيه حكم الإعدام بالمقصلة يوم 19جوان 1956 في حدود الرابعة صباحا، وكان أول من ينفذ فيه هذا النوع من الإعدام.

24- فرطاس محمد: ولد يوم 02 سبتمبر 1925بحاسي الغلة (عين تموشنت)، عمل عون إداري بمصلحة الحالة المدنية ببلدية حاسي الغلة، انتسب إلى صفوف حزب الشعب الجزائري، في أواسط الأربعينات، وتزامن نشاطه السياسي مع نشاطه الكشفي، بحيث يعتبر من مؤسسي التنظيم الكشفي في حاسي الغلة، والبلديات المجاورة لها، انظم إلى المنظمة الخاصة، وكان من خطط لتفجير المعلم التاريخي للأمير عبد القادر بمعسكر، الذي أنجزه الحاكم العام الفرنسي "ناجيلان" Nagelen، ألقت عليه السلطات الفرنسية القبض سنة 1955، وهو على متن سيارة محملة بالسلاح، في مدينة وجدة المغربية، ردت جبهة التحرير على هذا العمل باختطاف ضابط فرنسي سامي، برتبة عقيد يدعى:"مازوري" Mazurier وحجزته، واشترطت طلاق صراحه، بإطلاق صراح "فرطاس محمد"، أثار هذا الصنيع ضجة إعلامية، انتهت بوساطة العاهل المغربي"محمد الخامس"، وإطلاق صراح المختطفين، "فرطاس" والفرنسي، توفي في حادث مرور يوم 16 أوت 1964. ينظر: الملتقى الجهوي الغربي الأول لقدماء وعمداء الكشافة الإسلامية الجزائرية، بعين تموشنت، إحياء ذكرى الفقيد "فرطاس محمد"، أيام 15-16 فبراير 2007.

25- عبد القادر جيلالي بلوفة: حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران: الخروج من النفق من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية 1950-1954"، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2008/2007، ص331.

26- نفسه.

27 - زيغود يوسف: من مواليد عام 1921 في قرية (كوندي سميندو) التي تحمل اسمه حالياً بولاية سكيكدة، نال الشهادة الابتدائية ثم اشتغل حدادا وهو لم يبلغ بعد سن الرشد، انضم إلى الحركة الكشفية الإسلامية وبالتحديد فوج (كوندي سميندو)، سنة 1942 انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري، وعندما أنشئت المنظمة الخاصة صار واحد من قادها البارزين، أوقف عام 1950 ثم هرب من سجن عنابة 1952، عضو "لجنة الـ22" خلف ديدوش مراد في قيادة المنطقة الثانية يوم 1955/05/18، قام بدور أساسي في التحضير لمؤتمر وادي الصومام، في توفير الشروط اللازمة لإنجاحه، استشهد أثناء معركة قرب بلدة سيديَ مزغيش (ولاية سكيكدة حالياً) يوم 1956/09/23 بينما كان في طريقه إلى الأوراس في مهمة كلفه بها المؤتمر الأول لجبهة التحرير الوطني. أنظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل قيصر داغر، بيروت، ص341. الزبيري محمد العربي:" تاريخ الجزائر المعاصر"، ج2، ص 32.

28- أحسن بومالي: "إستراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى 1954-1956"، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1985، ص 112.

29- جاك سوستيل (1912- 1990): مفكر فرنسي محنك في السياسة وخبير في المجتمعات البدائية التي درسها في أمريكا اللاتينية، استنجدت به السلطات الاستعمارية فأصبح والي عام للجزائر مابين 1955-1956، كان ممن قاموا بحركة ماي 1958، ثم تحول إلى معارضة ديغول منذ 1960، ألف عدة كتب عن القضية الجزائرية وعن المكسيك حيث تخصص في الدراسات الإثنية عنها.

30- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص40.

31- سويداني بوجمعة: من مواليد مدينة قالمة يوم 10 جانفي 1922 تربى في أحضان الكشافة الإسلامية الجزائرية لنفس المدينة، مناضل في المنظمة الخاصة (1947-1950)، عضو في لجنة "الـ 22"، مسؤول مساعد عن منطقة الجزائر، أستشهد في ساحة القتال في 16 أفريل 1956 في المتيجة، عن عمر لايزيد على 34 سنة.

32- يحيى بوعزيز: "ثوراث الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين" من شهداء أول نوفمبر 1954-1962"، دار الهدى، ميلة: 2009، ص 192.

33- نفسه، ص 193.

34- أحمد بوقرة المدعو سي أحمد (1926-1959) من مواليد خميس مليانة ولاية عين الدفلى، انخرط صغيرا في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية ثم في صفوف (ح.إ.ح.د) سنة1946، التحق بالمنظمة الخاصة وألقي عليه القبض مرتين الأولى عقب حوادث ماي 1945م والثانية عام 1950 بعد اكتشاف أمر المنظمة الخاصة، انطلق ينظم الثورة في جبال "عمرونة" و"ثنية" و"الونشريس"، رقي إلى رتبة رائد عام 1956، ثم عقيد عام 1958 أستشهد يوم 05 ماي 1959.

35- بوعلام بسايح: "أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي 1830-1956"، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007،، ص80.

36- عاشور شرفي: المرجع السابق، ص70.

37- عبد الله مقلاتي: قاموس أعلام وشهداء وأبطال الثورة الجزائرية"، ط1، وزارة الثقافة، قسنطينة: 2009، ص178.

38- مسعودة باج: المدعوة "مريم" ولدت يوم 07 ماي 1933 بمدينة الشلف، نشأت في أسرة ميسورة الحال، زاولت دراستها حتى الثانوي ولما لم توفق في الحصول على شهادة البكالوريا، قصدت مركز تكوين المرضين بمستشفى آيت إيدير بالعاصمة، وأثناء تكوينها انضمت إلى فوج الكشافة الإسلامية لحي القصبة بالعاصمة، أين نمى وعي الشهيدة واتسعت مداركها لما يقوم به المستعمر الفرنسي، غادرت الشهيدة مقاعد الدراسة بعد إضراب ماي 1956 باتجاه جبل "تمزقيدة" بالأطلس التلي البليدي وانضمت إلى جيش التحرير الوطني، استشهدت عام 1960. ينظر: الشهيدة باجي مسعودة إعداد المركز، مجلة الرؤية: ع 3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر1954: السداسي الأول 1997، ص 223.

39- محمد بن عيسى أمير:من مواليد 08 أكتوبر 1926 بمدينة سيدي بلعباس، انضم إلى الفوج الكشفي "الأمل" لسيدي بلعباس سنة 1941 والذي أثر كثيرا في تكوينه، حصل سنة 1947 على شهادة البكالوريا شعبة الرياضيات، لينتقل إلى فرنسا لدراسة الطب، كان عضوا بحركة إ.ح.د"، عقب اندلاع الثورة التحريرية انضم إلى فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، قبل أن يلتحق بجيش التحرير الوطني 1957، بعد الاستقلال شغل عديد المناصب، فقاد جهاز الصحة العسكرية في الجيش الوطني الشعبي، ومن المناصب السياسية توليه لأمانة رئاسة الجمهورية سنة 1970، وزير للعمل والتكوين سنة 1977....توفي 25 ديسمبر 1990. ينظر: توفيق برنو: "الدكتور محمد أمير بن عيسى الطبيب المناضل 1926-1990"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2005-2006.

40- المنطقة الشمالية للمغرب الأقصى: تضم مركز الخميسات، طنجة وتيطوان، مدينة العرائش وفاس جنوبا.

41- توفيق برنو: المرجع السابق، ص 135.

42 – Mohamed Daouadji : Mémoire de 08 pages écrit par l'intéresser non publié et sans date.

43 - غي برفيليي: النخبة الجزائرية الفرانكوفونية 1880- 1962، ترجمة: م.حاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر: 2007، ص ص 260-261.

44- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص12.

45- ذبيح شريف: ولد يوم 10 ماي 1926 بالجزائر العاصمة، انتسب إلى صفوف الكشافة الإسلامية بحي المرادية، الحي الذي ولد وترعرع فيه، انخرط في صفوف"حزب الشعب،ح.إ.ح.د" ولم يبلغ العقد الثاني من عمره، كما كان عضوا في المنظمة الخاصة، تحت إشراف ديدوش مراد، بعد انطلاق ثورة التحرير تكثف نشاط "ذبيح الشريف" في العاصمة، خاصة" المرادية والمدنية"، إلى أن كشف العدو الفرنسي أمره، فاضطر إلى الالتحاق بالثورة وسط الجبال في جوان 1955، ثم عاد إلى العاصمة وبقي متنقلا بينهما، كان عنصرا فعالا في إنشاء شبكات الدعم، وصناعة المتفجرات، استشهد في 26 أوت 1956 بقلب العاصمة، مع رفيقه "عثمان رحال" حينما كان يقوم بإحدى المهام في أحياء العاصمة. ينظر: عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 281.

46- غي برفيليي: المرجع السابق، ص261.

47- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص70.

48- العربي بن مهيدي: ولد عام 1923 بناحية عين مليلة، تحصل على شهادة الابتدائية من باتنة، التحق بأسرته التي انتقلت إلى مدينة بسكرة، في عام 1939 انضم لصفوف "الكشافة الإسلامية" فوج الرجاء ببسكرة، وبعد بضعة أشهر أصبح قائد فريق الفتيان، في عام 1942 انضم لصفوف حزب الشعب ببسكرة، وفي عام 1947 كان من بين الشباب الأوائل الذين التحقوا بصفوف المنظمة الخاصة حيث ما لبث أن أصبح من أبرز عناصر هذا التنظيم، عند تكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل في مارس 1954 أصبح الشهيد من بين عناصرها البارزين، ثم عضوا فعالا في جماعة "22" التاريخية لعب بن مهيدي دورا كبيرا في التحضير للثورة المسلحة، قال مقولته الشهيرة: "ألقوا بالثورة إلى الشارع سيحتضنها الشعب"، وأصبح أول قائد للمنطقة الخامسة (وهران)، كان من الذين عملوا بجد لانعقاد مؤتمر الصومام التاريخي في 20أوت 1956، عضوا بلجنة التنسيق والتنفيذ للثورة الجزائرية، قاد معركة الجزائر بداية سنة 1956 ونهاية 1957 إلى أن أعتقل نهاية شهر فيفري1957، أستشهد تحت التعذيب ليلة 3 إلى 4 من مارس 1957.

49- غي برفيليي: المرجع السابق، ص 263.

50- شبكة القنابل: تم فصلها عن بقية تنظيم الفرع العسكري بهدف ضمان انعزال صارم بين أقسام الهيكلة.

51- حسيبة بن بوعلي: (18 جانفي 1938 - 08 أكتوبر 1958) ولدت بمدينة شلف، من عائلة ميسورة الحال، بعد انتقال عائلتها إلى العاصمة سنة 1948، واصلت تعليمها هناك، وانضمت إلى ثانوية "عمر راسم"(حاليا)، انضمت إلى صفوف الكشافة الإسلامية، ومن خلال رحلاتها داخل الوطن، اطلعت على أوضاع شعبها السيئة، في مطلع سنة 1955 انضمت إلى الثورة وهي في سن السابعة عشر، ولكن نشاطها الفعال برز سنة 1956، حين أصبحت عنصرا نشيطا في فوج الفدائيين المكلفين بصنع ونقل القنابل، استغلت نشاطها بمستشفى مصطفى باشا للحصول على المواد الكيماوية لصنع القنابل، بعض تعرضهم للوشاية، حاصرت قوات الجيش الفرنسي كل من حسيبة و"علي لابوانت"، بوحميدة محمود والطفل عمار ياسف، وبعد رفضهم الاستسلام نسف البيت الموجود بالقصبة (العاصمة) يوم 08 أكتوبر 1958. ينظر: عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 200.

52– ظريف الزهرة: من مواليد 1938، انضمت إلى الثورة في سن العشرينات، فقد كانت طالبة في الحقوق، ألقي عليها القبض في سبتمبر 1957، وصدر في حقها حكم بالسجن لمدة عشرين سنة من طرف المحكمة العسكرية بالعاصمة بتهمة القيام بأعمال إرهابية، أصدرت كتابا يحمل عنوان "موت إخواني" خلال عام 1960، وبعد عامين غادرت الزهرة السجن إثر عفو من الرئيس الفرنسي "شارل ديغول"، هي زوجة المجاهد "رابح بيطاط"، عقب الاستقلال شغلت عديد المناصب، وعضوا في البرلمان الجزائري، وهي لازالت على قيد الحياة.

53– غي برفيليي: المرجع السابق، ص 263.

54– نفسه، ص264.

55– علي عمار المدعو: "علي لابوانت" (14 ماي 1930– 08 أكتوبر 1958) من مواليد مدينة مليانة، من عائلة فقيرة، اشتغل في سن مبكرة في مزارع الكلون، انتقل رفقة عائلته إلى الجزائر (العاصمة) وانخرط في نادي الملاكمة،...انضم إلى صفوف الثورة التحريرية، ضمن فوج الفدائيين بالعاصمة، وشارك في معركة الجزائر، نسفت قوات الجيش الفرنسي البيت الذي كان يأويه رفقة رفاقه بعد رفضهم الاستسلام يوم 08 أكتوبر 1958.

56– حسن شحاته: حصة أرشيفهم وتاريخنا: حلقة عن الثورة الجزائرية، قناة الجزيرة، جويلية 2010.

57– نفسه.

58– D.A.W.O. boite 6992,P.R.G ,Oran, N° 01434,Le 28janv1957.

59 - رشيد طوبيشي: "محفوظ قداش"، من كتاب "الكشافة مدرسة الجودة"، المرجع السابق، ص85.

60– Mohamed Tayeb Illoul-Ali Aroua : « le groupe Emir Khaled de Belcourt 1946-1962.», Dahlab, Alger : 1991.,p75

61- Idem.

62– هذا ما صرح به "عبد الحميد مهري" الوزير السابق بالحكومة الجزائرية المؤقتة خلال حفل تأبيني للمرحوم "قداش" بالمكتبة الوطنية أياما بعد وفاته. ينظر: جمعية قدماء الكشافة الإسلامية: المرجع السابق، ص88.

63– محمد درويش (07 جانفي 1924– 27 أوت 1989) ولد بالقصبة من عائلة فقيرة، أصله من بلاد القبائل، حصل على البكالوريا عام 1948، واصل دراسته في مدرسة المعلمين في بوزريعة، أين تخرج منها كمختص في البيداغوجيا عام 1949، اشتغل معلما بالأصنام 49–1950، مناضل في حزب الشعب، انضم إلى الكشافة الإسلامية سنة 1941 في فوج "القطب"، وكان أمينه العام عندما انسحب عام 1970 لعدم رضاه عن وضعية الكشافة في تلك الفترة، خلف كتاب بعنوان: "الكشافة مدرسة للوطنية" سنة 1985.

ينظر: "الكشافة مدرسة الجودة"، المرجع السابق، ص ص 75–76.